الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

كلية أصول الدين
دائرة الجذع مشترك علوم إسلامية

العقيدة الإسلامية

مطبوعة موجهة للسنة أولى جذع مشترك – علوم إسلامية –

إعداد الدكتورة:

فاطمة سوالمي

السنة الجامعية:

1443 – 1444 هـ /2021–2022م

- **مفردات مادة العقيدة الإسلامية:**
- **مدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية (تحديد المفاهيم)**
- **نشأة علم العقيدة، موضوع علم العقيدة، أسماء علم العقيدة، وتقسيماته،**
- **مصادر المعرفة العقدية، مصادر أدلتها، صور الأدلة العقلية**
- **طبيعة المعرفة العقدية**
- **الأصول والفروع في علم العقائد**
- **أسباب الاختلاف في مسائل العقيدة الإسلامية**
- **أركان الإيمان في العقيدة الإسلامية (الأركان الستة)**
- **الإيمان بالله بين الفطرية والاكتساب**
- **التصور الإسلامي للوجود (الكون، الإنسان، صلة الكون والإنسان بالله عز وجل)**

المحاضرة الأولى:

مفهوم العقيدة

أولا: تعريف العقيدة:

1-لغة:

العقيدة مأخوذة من: العقد وهو: نقيض الحلّ، ويقال: عقدت الحبل، فهو: معقود، ومنه: عقدة النكاح، والعقد: العهد، والجمع: عقود، وهي أوكد العهود. ويقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، وتأويله: ألزمته بذلك. فإذا قلت: عاقدته، أو: عقدت عليه، فتأويله: أنّك ألزمته ذلك باستيثاق.

والمعاقدة: المعاهدة؛ قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالعُقُود]** المائدة:1

قيل: هي العهود، وقيل: هي الفرائض الزموها.

قال الزجّاج: أَوفُوا بِالعُقُودِ :خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يوجبه الدين[1]

وفي المعجم الوسيط: "العقيدة: هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل والجمع عقائد"[2]

وكلمة العقيدة في معناها اللغوي تعني الميثاق الذي ورد في القرآن الكريم بعدة معان من بينها العهد، كما في قوله تعالى: **[وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ]** آل عمران: 81

[اوَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا] لمائدة: 12

[إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا]الأحزاب: 7

هذه الآيات جميعها وردت فيها كلمة الميثاق بمعنى العهد والعقد[3]

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، ط د، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص432

[2]-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1972م، ج2، ص614.

[3]- جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة، ص419

من خلال هذه المتابعة المعجمية السريعة للدلالات اللغوية لمشتقات الجذر (ع ق د) تبين لنا أن له دلالات عدة منها: -التقارب والارتباط.

-الالتصاق الشديد والالتحام، تقول العرب اعتقد بقلبه، أي ما يقرّ في النفس ويلتحم بها

-الالتزام والتأكيد.

-والشدّ والإحكام بقوة.

2-العقيدة في القرآن الكريم والسنة:

لم يرد مصطلح العقيدة لا في القرآن الكريم ولا في السنة، إنما المذكور منها فهو مصطلحات من الجذر نفسه مثل: العقد، عقدة وقد وردت في القرآن الكريم في ست مواضع منها:

قوله تعالى: **[وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ]** البقرة:235

[إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ] البقرة:237

[وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] النساء:33

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ] المائدة: 1

[لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَان] المائدة: 89

[وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي] طه: 27، " **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**" الفلق، 4

أما في السنة النبوية الشريفة فقد ورد ذكر العقد في قوله ρ: " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "[1]بالإضافة إلى أحاديث أخرى.

وفي كل هذه الآيات والأحاديث نجد ذات المعاني اللغوية السابقة الذكر: الالتزام والالتحام والتقارب الشديد.

3-العقيدة في الاصطلاح العام

[1]-صحيح البخاري، كتاب (الجهاد والسير)، باب (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)، رقم الحديث: 2694.

يقول السفاريني الاعتقاد: "هو حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقا فهو صحيح وإلا فهو فاسد"[1]

ويلاحظ على تعريف السفاريني أنه يقسم العقيدة إلى قسمين: العقيدة الصحيحة: وهي التي يشترط أن يكون فيها حكم الذهن موافقا للواقع، وعقيدة فاسدة: وهي التي يكون حكم الذهن فيها غير موافق للواقع.

أما الزبيدي فقال: "العقيدة: هو ما يدين الإنسان به، واعتقد كذا: عقد عليه قلبه وضميره".[2]

وعرفها حسن البنا بصيغة الجمع فقال: "العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك وتكون يقينا عندك، لا يمازحه ريب، ولا يخالطه شك".[3]

واستنادا إلى ما ذكره العلماء يمكن القول بأن العقيدة في الاصطلاح العام هي كل ما عقد عليه الإنسان قلبه جازما، أي كل ما يؤمن به الإنسان من الأفكار والمبادئ والتصورات التي وصلت إلى النفس بسبب من الأسباب فاستقرت فيها، وبغض النظر عن صحتها أو خطئها يصبح الإنسان يدافع عنها دفاعه عن نفسه وعن كل ماله علاقة بها.

4-العقيدة في الاصطلاح الشرعي

لفظ العقيدة ظهر في تاريخ العلوم الإسلامية للدلالة على أصول الدين وأركان الإيمان الستة في الإسلام وهي: (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقد عرّف هذا المصطلح بتعريفات عدة منها:

1-العقيدة هي: "الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة».[4]

ومن ذلك قوله تعالى: [**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**"الحجرات:15، [**ذٰلِكَ**

---

[1]-محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ-1991م، ج1، ص60

[2]-محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العربية، بيروت، 1409هـ-1989م، ج1، ص26.

[3]-حسن البنا، العقائد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، 1404هـ-1984م، ص5.

[4]-عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1422هـ، ص14.

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ] البقرة: 2، **[ربَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ]** آل عمران :9

فهي الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده.

2-العقيدة هي: " مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالسمع والعقل والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازما بصحتها قاطعا بوجودها وثبوتها"[1]

3-وعرفها البوطي: "هي الإيمان بوجود الله ووحدانيته، وأن لا سلطان حقيقيا في الكون غير سلطانه، ولا قوة قاهرة غير قوته، ولا ملك غير ملكه، وكل ما وراء ذلك فهو مخلوق لله عز وجل يمنحه حيث يشاء ويسلبه حيث يشاء، وأنه الرقيب على عباده كلهم، وسيبعثهم من بعد الموت فيحاسب كلا على ما كسب أو اكتسب، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" [2].

وعرفها قطب بقوله: التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة وعما بعدها، وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها"[3].

[1]-آمنة نصير، مباحث في علوم العقيدة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،1984 ص10

[2]-محمد رمضان سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط3، دار الفكر، دمشق، 1394هـ، ص69

[3]-محمد قطب، دراسات قرآنية، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ-1980م، ص33 .

المحاضرة الثانية:

مدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية

تحديد المفاهيم

يطلق مصطلح العقيدة الإسلامية ويراد به أصول الدين وأركان الإيمان المستنبطة من نصوص الوحي القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي: الإيمان الجازم بالله من ناحية وحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنزيهه عن جميع صفات النقص، والإيمان الجازم بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

قال تعالى: **[آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" البقرة: 285 وقال تعالى: [لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ] البقرة:177**

وقال تعالى: **[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] القمر: 49**

وفي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب τ قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1]

وقد اصطلح كثير من المؤلفين في علم العقيدة على تقسيم موضوعاتها، وهي أركان الإيمان الستة: (الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر) إلى ثلاثة أقسام هي:

الإلهيات: وهي ما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من حيث وجوده ووحدانيته وأسمائه وصفاته ورؤيته....

النبوات: وهي ما يتعلق بالنبوة والرسالة وظاهرة الوحي، وصفات الأنبياء الذين بعثهم الله، والحاجة إلى رسالاتهم وما جاؤوا به من معجزات وكتب.

[1]–صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في سؤال جبريل النبي τ عن الإيمان وغ–لإحسان وعلم الساعة، رقم 10.

الغيبيات: وسميت مباحثه بالسمعيات وتشمل الأمور التي لا يستقل العقل بإدراكها إنما نعرفها بالسمع عن طريق الوحي، وهي ما يتعلق بالموت وعذاب القبر والساعة وأشراطها ويوم القيامة وأحداثه والصراط والحساب والبرزخ والجنة والنار والميزان...

وفريق من الباحثين يقسم مباحث العقيدة إلى أربعة أقسام هي: الإلهيات والنبوات والسمعيات والكونيات[1]

وهي ما يتعلق بالإنسان مأتاه ووجوده ومصيره، والجان وكل ما يتعلق به، والملائكة وكل ما يتعلق بهم، وقانون السببية في الكون.

مصطلحات متعلقة بلفظ العقيدة

1-الإيمان:

الإيمان لُغةً: فهوَ مَصدرُ آمنَ يؤمِنُ إيماناً فَهو مؤمِنٌ، قال ابن فارس: "أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متقاربان..

وأما التصديق فقول الله تعالى: **[وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا]** أي مصدق لنا .[2]

واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم على أن الإيمان معناه التصديق، وعند الراغب: أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف[3]

وقال الأزهري: "وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانا، فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، قال الله تعالى: **[قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ]** الحجرات: 14

اصطلاحا:

التعريف المشهور عند العلماء هو أن الإيمان هو "تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان"وهذا التعريف هو الذي يؤيده القرآن الكريم والسنةّ .

---

[1]-محمد رمضان سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، 1997م، ص25

[2]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج1، ص133-134.

[3]-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص21

مما يؤكد **تصديق بالجنان** قوله تعالى: **[أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ]** المجادلة:22، فالله جعل القلوب محلا للإيمان.ومن السنة قوله –صلى الله عليه وسلم–: "من آمن بالله ولم يدخل الإيمان قلبه..."

قول باللسان: قوله تعالى: **[قُولُوا آمَنَّا بِاَللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وَالْأَسْبَاط وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّق بَيْن أَحَد مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] البقرة: 136**

عمل بالأركان: قوله تعالى: **و"[مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ]** البقرة:143، أي عملكم والمقصود هنا هو صلاتهم التي كانت لبيت المقدس كما جاء في أسباب النزول.

ومن السنة قوله –صلى الله عليه وسلم–: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا"

"الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"

– وفي تفسير ابن كثير : "أما الإيمان في اللغة فيطلق على التصديق المحض وقد يستعمل في القرآن والمراد به ذلك كما قال تعالى: **[يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ]** وكما قال إخوة يوسف لأبيهم وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين" وكذلك إذا استعمل مقرونا مع الأعمال كقوله تعالى: **[إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ]**

أما إذا استعمل مطلقا فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملا. هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعا: أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص"[1]

– وقال البغوي في تفسيره: "وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب قال الله تعالى: **[وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا]** يوسف: 17 أي بمصدق لنا وهو في الشريعة الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان فسمي الإقرار والعمل إيمانا: لوجه من المناسبة لأنه من شرائعه".[2]

---

[1]–ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ-2000م، ج1، ص39.

[2]–الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دط، دار طيبة، الرياض، 1409هـ، ج1، ص39.

وقال في موضع آخر: "والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة: هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأبدان"[1]

قال ابن القيم: «الإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم- والتصديق به عقدا، والاقرار به نطقا، والانقياد له محبة وخضوعا، والعمل به باطنا وظاهرا»[2] وقال تعالى: **[إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ]** الأنفال: 2

وبناء على ما سبق من تحديد مفاهيم العقيدة والإيمان يتضح أن العقيدة الإسلامية يراد بها هنا الإيمان في مسائله ودلائله كما جاءت في الكتاب والسنة الصحيحة، أو هي أركان الإيمان أو أركان العقيدة الإسلامية كما نطقت بها نصوص الشرع وحددت ما يجب الإيمان به.

2-تعريف الإسلام:

-لغة: اختلفت عبارات اللغويين في تعريف الإسلام وإن اتفقوا على معناه العام في اللغة.

قال ابن منظور في لسان العرب عن معنى الإسلام: "**لغةً** هو: الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي: مُستَسلمٌ لأمرِ الله"[3].

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: أسلم، انقاد وصار مسلما[4]. وقال الرازي: وأسلم أمره إلى الله أي سلَّم، وأسلم دخل في (السَلَم) وهو الاستسلام و(أسلم) من الإسلام[5].

وقال الراغب الأصفهاني: "الإسلام الدخول في السلم..."ومنه اتفقت معاجم اللغة العربية على أن كلمة إسلام تعني: "الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض"

-اصطلاحا:

---

[1]-المصد نفسه، ج4، ص348.

[2]-ابن القيم: الفوائد، دط، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت، ص141.

[3]-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص293.

[4]-الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م ج4، ص183.

[5]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م، ص131.

يعرف الإسلام في الاصطلاح بأنه: الاستسلامُ لله لا لِغَيرِهِ، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا الله[1].

– وقال ابن كثير: وقوله تعالى: **[إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ]** البقرة: 131أي: أمره الله بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعا وقدرا"[2].

– وقال البغوي في تفسيره: "والإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم أي دخل في السلم واستسلم، قال قتادة في قوله تعالى : **[إن الدين عند الله الإسلام]** قال: شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزي إلا به.

وجاء تفسير الإسلام في حديث جبريل بما يجب الانقياد له وطاعة الله فيه، "قال :يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسولُ الله —صلى الله عليه وسلم– "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعتَ إليه سبيلًا"[3].

ومن ثم اعتبر المسلم هو من أخلص دينه لله انقيادا وطاعة وتسليما بلا اعتراض على جميع أحكام الدين الاعتقادية العلمية والتعبدية السلوكية العملية

ولا يقبل الله تعالى من الإيمان دينا غير الإسلام باعتباره الدين الحق الكامل الذي لا تتحقق الطاعة التامة والانقياد الكلي إلا من خلاله، كما في قوله تعالى:

[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا] المائد: 3

وقال تعالى: "**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ**" آل عمران:19

وقال أيضا تعالى ذكره: **[وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ]**

آل عمران:85

---

[1] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط1، دار أضواء السلف، المدينة المنورة، 1423هـ–2003م، ج5، ص239.

[2] – ابن كثير، مصدر سابق، ج1، ص447.

[3] – البغوي، مصدر سابق، ج2، ص19.

3–الفرق بين الإيمان والإسلام:

القاعدة عند العلماء: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:

فإذا ورد الإسلام والإيمان في نص واحد، كان معنى الإسلام : الأعمال الظاهرة. ومعنى الإيمان : الاعتقادات الباطنة، كقوله تعالى: **[قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ]** الحجرات:14

أما إذا ذكر الإسلام وحده دخل في معناه الإيمان، كقوله تعالى: **[إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ]** آل عمران : 19.

وإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، كقوله تعالى : **[وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ]** المائدة : 5

وقد أفاض الإمام الغزالي في بيان العلاقة بينهما حيث قال: "الحق فيه: أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل التوارد والترادف، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل، أما الترادف ففي قوله تعالى: **[فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ]** الذاريات: 35-36، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد، قال تعالى: **[وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ]** يونس: 84، وقال النبي ρ: "بني الإسلام على خمس..." وسئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس.

وأما الاختلاف فقوله تعالى: **[قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ]** الحجرات:14 ومعناه: استسلمنا في الظاهر، فأراد بالإيمان هاهنا: التصديق بالقلب فقط، وبالإسلام: الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح، وفي حديث جبريل –عليه السلام–، لما سأله عن الإيمان، فقال:"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر..."

وأما التداخل فما روي أيضا أنه سئل، فقيل : أي الأعمال أفضل؟ فقال ρ"الإسلام" فقال: أي

الإسلام أفضل؟ فقال ρ "الإيمان".[1]

4-تعريف الدين

الدين لغة: كلمة الدين -بكسر الدال المشدّدة-مأخوذةٌ من الفعل الثلاثي دَانَ بمعنى أطاع وأذعن وانقاد وخضع واستسلم.

يقال في اللغة دان الرجل صاحبه أي أقرضه مبلغاً من المال، ودان الشيء ملكه، وداناه بما صنع أي جازاه على ذلك الصنيع، ودان نفسه أي حاسبها، ويقال كما تدين تدان أي كما تفعل يفعل بك، ودان لفلان من الناس أي انقاد له وخضع وذل، ويقال دان بالدين الإسلامي أي اتخذه ديناً وتعبد به.[2]

ومن استقراء المعاني اللغوية لكمة دين يمكن أن نلاحظ أمرين:

الأمر الأول: أن المدلول اللغوي لكلمة دين يتسع لعدة معاني.

الأمر الثاني: أن الاستعمال المعجمي لكلمة الدين يشير لوجود علاقة بين طرفين أحدهما منقاد وتابع والآخر قائد وصاحب الأمر والنهي.

-اصطلاحا:

الدين هو ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات التي تنظم شؤون الناس في مختلف جوانب الحياة، ولم يأت إلا لأجل استقامة الإنسان على طريق الحق والخير والصلاح كما يتضح من خلال القصد العام لكليات دلائل الشرع وجزئياته وهو: «حفظ نظام العالم، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه» [(3)]

ولذلك جاء في تعريف العلماء للدين بأنه: «وضع إلهي **سائق** لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير

---

[1]-أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ-2005م، ج1، ص115

[2] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص320.

[3]-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، ص370

-محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط2، دار النفائس، عمان، الأردن، 1421هـ-2001م، ص63.

باطنا وظاهرا» [1]. أو «وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إيّاه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل». [2]

أو كما عبر عنه دراز بأنه «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات».[3]

ثانيا: الفرق بين العقيدة وعلم العقيدة

العقيدة: هي الإيمان وهو أن نؤمن بما جاء به النبي –عليه الصلاة والسلام–حق من عند الله واجب أن نؤمن به وأن نعمل به وهذه العقيدة محدودة وهي ثابتة لا تزيد ولا تنقص.

أما علم العقيدة:

التعريف الأول:

علم العقيدة هو البحث في هذه العقيدة شرحا واستدلالا، وإثباتا وردا على الشبه، وهو غير محدود فهو يتنامى بازدياد المعارف الإنسانية، فكل دليل يصلح أن يكون دليلا على وجود الله وعلى أي مسألة من مسائل العقيدة وأي شرح يصلح لهذا فإنه يضاف إلى علم العقيدة فيتسع علم العقيدة لهذه الإضافة.

التعريف الثاني:

علم العقيدة هو مجهود ونتاج ذهني وفكري وضعه المسلمون لفهم العقيدة الإسلامية شرحا واستدلالا، واستنباطا من القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وتنقيتها وتطهيرها مما علق بها، ودفاع عنها من الشبهات الداخلية والخارجية التي تثار حولها وهذا هو علم العقيدة.

–موضوع علم العقيدة:

بعد ما افاد تعريف العقيدة تمييزها بحسب المفهوم نذكر موضوعاتها ليتم كذلك تمايزها في نفسها وذاتها بحسب تمايز الموضوعات، فموضوع علم العقيدة هو المعلوم من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية فهو إما

---

[1]–محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، ج3، ص189

[2]–محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1971م، ص 305 .

[3]–محمد عبد الله دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان)، دار القلم، الكويت، ص33

عقيدة إسلامية أو وسيلة إليها، وعلماء الكلام يقولون موضوعه: ذات الله تعالى لأنه يبحث عن صفاته الثبوتية والسلبية وافعاله المتعلقة بأمر الدنيا مثل كيفية صدور العلم عنه بالاختيار وحدوث العالّم وخلق الأعمال وكيفية نظام العالم كالبحث عن النبوة وما يتبعها أو بأمر الآخرة كبحث المعاد وسائر السمعيات[1].

يقول الشهرستاني: «ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فرعيا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه»[2]

وأضاف الشيعةُ إلى هذه الموضوعات مسألة الإمامة وإثباتها واختيار الإمام فجعلوها من أركان الدين، والمتعارف عليه عند أهل السنة والجماعة أنها من المصالح العامة التي تفوّض إلى اختيار الأمة وقد صرح إمام الحرمين الجويني قائلا: ثم الإمامة ليست من العقائد ولو غفل عنها المرء لم تضره ولكن جرى الرسم باختتام علم التوحيد بها[3]،.

فموضوع علم العقيدة، لا يتجاوز مباحث الذات والصفات والنبوة والإمامة والمعاد وما يتعلق بذلك من أحوال الممكنات حيث يبحث في أركان الإيمان وما يوصل إلى التصديق بها، وتم تقسيم تلك المباحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة تقوم عليها المعرفة الإيمانية، مبحث الإلهيات ومبحث النبوة ومبحث السمعيات أو الغيبيات.

أسماء علم العقيدة

1-العقيدة:

هذا المصطلح من أشهر المصطلحات التي أطلقت على مسائل الإيمان، ومن أكثر الأسماء التي اجتمعت الأمة على قبوله والأخذ به وقد صنّف كثيرٌ من العلماء مصنّفات عدّة، تم تسميتها بهذا الاسم، ومن ذلك:

-اعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي(277-371هـ).

-الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام البيهقي(384-458هـ)

---

[1]_انظر: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ط1، عالم الكتب، لبنان، ج1، ص 12.

[2]- الشهرستاني، الملل والنحل، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ-1993م، ج1، ص 41.

[3]- إمام الحرمين الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1412هـ، ج1، ص 19.

-لمعة الاعتقاد، ابن قدامة (541-620هـ)

2-السنة:

السنة في اللغة تعني السيرة والطريقة، واصطلاحا: ما كان عليه النبي —صلى الله عليه وسلم- من الاعتقادات والأقوال والأعمال، ثم اختصت عند السلف المتقدمين بالاعتقادات، السالمة من البدع والشبهات، ومن أشهر مصنّفات العقيدة التي استعملت هذه التسمية:

-كتاب السنة لأبي بكر الأثرم (ت273هـ)

-كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل(213-290هـ)

-كتاب السنة لأبي أحمد الأصبهاني العسّال (269-349هـ)

3-اصول الدين:

الأصل في اللغة: أساس الشيء أو ما يبنى عليه غيره؛ كأساس المنزل، وأصل الشجرة، ونحو ذلك[1]

اصطلاحًا: الأصل ما له فرع؛ لأنَّ الفرع لا ينشأ إلا عن أصل[2].

والدين في اللغة: الذل والخضوع. والمراد به دين الإسلام، وطاعة الله، وعبادته وتوحيده، والامتثال لكل أوامر الله تعالى واجتناب كل ما نهى عنه[3]

والأصل في الدين: التوحيد، والدين الإسلامي أساسه عقيدة التوحيد. ومن هنا سمي علم التوحيد أو علم العقيدة بعلم أصول الدين

وعقيدة التوحيد هي أصل الدين، وسائرُ أمور الدين ومسائلُه تُبنى عليها، وهي قطعيّات الدين التي تحكم قواعد الشرع، ولذلك تكون المرتكز الحقيقي الذي يحدّد مصير الإنسان ومستقبَله وسعادتَه في الداريْن.

ومن أشهر أسماء كتب العقيدة التي اتّخذت هذه التسمية:

---

[1]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج1، ص109.

[2]-مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص20.

[3]- محمد بن علي التهانوي، مصدر سابق، ج1، 122-123.

-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج2، ص320.

-مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج1، ص370

-الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (329هـ)

-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي (ت418هـ)

- الفصول في أصول الدين، لأبي عثمان الصابوني(373-449هـ)

-أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر الجرجاني (429هـ)

4-الفقه الأكبر

الدافع لهذه التسمية هو التخصص، فقد ظهر هذا المصطلح على يد الفقهاء، تمييزاً لها عن "الفقه الأصغر"، والذي هو معرفة أحكام الشرع العمليّة، والباعث على هذه التسمية والله أعلم، أن الفقه في حقيقته يقوم على المعرفة، وأولى ما يجب على المرء معرفتُه وفهمُه وإدراكه: أصول الدين، ولذلك ينبغي على المكلّف أن يصحّح معتقده أولاً قبل كلّ شيء.

ومما وصلنا من أسماء المصنّفات التي اتّخذت هذه التسمية:

-كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة(150هـ)

-كتاب الفقه الأكبر، للإمام الشافعي(204هـ)

5-الشريعة:

من تسميات العقيدة: علم الشريعة، والشريعة بمعناها العام: كلّ ما سنّه الله تعالى لعباده من أحكام عقائدية أو عملية أو خلقية، ومن هنا: أطلق علماء السلف اسم الشريعة على العقائد باعتبار دخوله تحت المصطلح العام أولاً، وإظهاراً لأهميّته ومصدريّته ثانياً، وقد تمّت الإشارة إلى العلاقة بين الشريعة والعقيدة في قولِه تعالى: **[شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيم وَمُوسَىٰ وَ عِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ]**الشورى: 13.

فالدين –الذي هو الأصول- واحد، وإن اختلفت الشرائع أو ما يُسمّى بالفروع: كما قال عزّ وجل: **[لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا]** المائدة: 48

ومن أمثلة المصنّفات العقديّة التي استخدمت هذا المصطلح- :

كتاب الشريعة، للإمام محمد بن الحسين الآجُري(360هـ)-

كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، للإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري(387هـ).

6-الإيمان: هو التصديق القلبي بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وهي أركان العقيدة الإسلامية كما نطقت بها نصوص الوحي، ومن شواهد هذه التسمية:

-كتاب الإيمان، للإمام أحمد بن حنبل(164-241هـ)

-كتاب الإيمان، لأبي بكر بن أبي شيبة(195-235هـ)

-كتاب الإيمان، لمحمد بن إسحاق بن منده(310-395هـ)

7-التوحيد:

وهو من أشهر أسماء العقيدة خصوصاً في العصور المتأخّرة، والتوحيد: اعتقاد وحدانيّة الله تعالى في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، ويذكر العلماء أن ذلك مِن باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله - عز وجل - هو أشرف مباحِث عِلم العقيدة أو من باب إطلاق اسم الخاص على العام .

يقول الإمام محمد عيده: "أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وكل الأنبياء والمرسلين من قبله"[1]، ومن شواهد هذا التصنيف:

-كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، لأبي بكر بن خزيمة(223-311هـ)

-كتاب التوحيد، لأبي العباس أحمد البغدادي(ت306هـ)

-كتاب التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين النسفي (ت506هـ)

-كتاب تجريد التوحيد المفيد، لتقي الدين المقريزي (854هـ)

8-علم الكلام: وضع هذا المصطلح انطلاقا من اعتبارين:

-تسمية هذا العلم بالكلام وأصحابه بالمتكلمين كان نتيجة التوسع في مباحث صفة الكلام، وما تعلق

[1]-محمد عبده، رسالة التوحيد، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ-1994م، ص20.

بها من مسائل من باب إطلاق اسم الخاص على العام، فمبحث الكلام هو أحد مباحث علم العقيدة وعلم العقيدة بمباحثه العديدة المتنوعة أعم وأوسع

-المقصود بالكلام هنا هو الجدل، فهذا العلم يكثر فيه الكلام ولجدل والمناظرات وسوق البراهين المنطقية المتقابلة لتأييد النصوص الشرعية العقدية، لذلك سمي أهل هذا العلم بالمتكلمين.

ومن المصنفات التي حملت تسمية علم الكلام:

-بحر الكلام في علم التوحيد لأبي معين ميمون النسفي

-نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (548هـ)

-إلجام العوام عن علم الكلام لأبي حامد الغزالي (505هـ)

المحاضرة الثالثة:

مصادر المعرفة العقدية

أولا: مفهوم المعرفة:

لغة: ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهي المضمرات والأعلام والمبهمات وما عُرف باللام والمضاف إلى أحدهما، والمعرفة أيضا: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يُسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف.

وقال الرّاغب: المعْرفة والعِرفانً: إدْراكُ الشيء بتفكُّر وتَدبر لأثره، فهي أخص من العلم، ويُضاده الإنكارُ، ويُقال: فلانٌ يعرفُ الله ورسُوله، ولا يُقال: يعلم الله متعديا غلى مفعولٍ واحد لما كان معرفة البشر لله تعالى هُو تدبُر آثاره دون إدراك ذاته[1].

اصطلاحا:

تطلق على معان: منها العلم بمعنى الإدراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا وهي كذلك الإدراك الجازم المطابق للواقع[2]، والمراد هنا معرفة الله سبحانه وتعالى بمعنى معرفة وجوب وجوده ومعرفة وحدته وصفاته وسائر احكام الالوهية قال تعالى:**(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)** الذاريات: 56 ، قال ابن عاشور ليعترفوا له بالإلهية والوحدانية فيها، ثم نقل عن مجاهد غلا ليعرفوني وقال: هذا قول حسن لأنه لو مل يخلقهم لما عُرف وجوده وتوحيده[3].

والمراد بمعرفة الله تعالى، معرفة صفاته وسائر أحكام الألوهية لا معرفة ذاته وكنه حقيقته إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو عز وجل، فإن غاية علم العالم أن يقطع ويجزم بوجود الله المنزه عن النظير وعن الشبيه، متصف بصفات الكمال ثم متى ثبت النقل عنه بشي من الأوصاف والاسماء قبله واعتقد ذلك وسكت عما

---

(1)_انظر تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الهداية، ج24، ص 133.

(2)_انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، صدر سابق، ج2، ص 1583.وحسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط5، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1403 هـ، ج1، ص 28.

(3)_التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج14، ص 188.

عداه[1].

وفي الصحيحين أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– لما بعث معاذا إلى اليمن قال: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...» [2].

يعني عبادة الله بمعرفته هي أول ماي دعوهم إليه، فإذا عرفوا الله بالتوحيد ونفي الألوهية عن غيره، فيدعوهم إلى الفرائض فقدم معرفة الله تعالى على الفرائض لأنها شرط في جميع عباداته وطاعاته، وفي معنى قوله تعالى: **[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** محمد: 19، قال ابن عطية[3]: "احتج بهذه الآية من قال من أهل السنة إن العلم والنظر قبل القول والإقرار في مسألة أول الواجبات ولذلك بوب البخاري له باب العلم قبل القول والعمل، لقوله تعالى: **[فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ]** محمد: 19.

ثانيا: مصادر المعرفة:

المصدر الأول: ما جاءت به الرسل عن الله:

يعتبر الوحي أهم مصادر المعرفة العقدية في الإسلام بسبب ما تمتاز به هذه المعرفة من الإحاطة والشمول لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا والآخرة، قال تعالى: **[إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّاهُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا]** 98 وقوله الحق: **[وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ]** ص: 20

يقول ابن تيمية: ''المعرفة المكتسبة من الوحي معرفة يقينية مطلقة ذلك أن الوحي بصفته جزءًا من علم الله له ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية وعقلية"

فالهداية والحق والصلاح للإنسان والمجتمع لا يكون إلا بإتباع منهج الأنبياء والاقتداء بهم لأنهم المبلغون عن الله والناصحون لعباده، يقول ابن تيمية: «وكذلك كون العلم ضروريا، ونظريا، والاعتقاد قطعيا، وظنيا أمور

---

[1]_إبراهيم الباجوري، تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد: تحقيق دعلي جمعة، ط1، دار السلام للطباعة، القاهرة، 1422هـ، ج1، ص 81.

[2]_صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، مجموعة من المحققين، دار الجيل، بيروت، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم 31، ج1، ص 38.

[3]_أنظر: سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، مصدر سابق، ج1، ص12.

نسبية: فقد يكون الشيء قطعيا عند شخص وفي حال، وهو عند آخر، وفي حال أخرى مجهول، فضلا عن أن يكون مظنونا...وقد يكون الشيء ضروريا لشخص، وفي حال، ونظريا لشخص آخر وفي حال أخرى...وأما ما أخبر به الرسول، فإنه حق في نفسه، لا يختلف باختلاف عقائد الناس وأحوالهم، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض".

وما جاءت به الرسل من الوحي هو العلم اليقيني الثابت " الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه **[لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ]** فصلت: 42

والعقل وإن دل على بعض الغيبيات كإثبات وجود الله وإثبات النبوة وبعض صفات الله تعالى، إلا أنه لا يشمل كل الحقائق الغيبية، وأيضًا دلالته على بعض الغيبيات هي دلالة مجملة لأنه عاجز عن الإثبات المفصل وهذا مما اختص به الوحي.

المصدر الثاني: الفطرة

1-الفطرة في اللغة:

من فطر الشيء، شقه كقوله تعالى: **[إذا السماء انفطرت]** الانفطار: 1 أي انشقت، وفطر الشيء نشأه وبدأه، وفطر الله الخلق يفطرهم خلقهم وبدأهم، والفطرة الابتداع والاختراع كقوله تعالى: **[الحمد لله فاطر السموات والأرض]** فاطر: 1، والفطرة الخلقة والفطرة ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به[1].

وقريب من هذه المعاني اللغوية للفطرة معناها في الاصطلاح، يقول الجرجاني: "الفطرة هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين"[2]، والجبلة الخلقة الأصلية التي جبل الله عليها البشر. أما الراغب الأصفهاني فيرى أن معنى فطر الله الخلق "هو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال"[3]. فالمعنى اللغوي والاصطلاحي يتفقان أو يتقاربان في أن مفهوم الفطرة هو:

-الخلقة أو الهيئة التي خلق الله الناس عليها

-ما ركزه الله تعالى في نفوس الناس من المعرفة به، وطريق الوصول إليه،

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة فطر، ج10، ص286.

[2] -الجرجاني، التعريفات، ط1، مكتبة الحلبي، 1938م، ص147.

[3] -الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، المطبعة الميمونية، ص575.

والفطرة هي النور الإلهي الذي اودعه الله الإنسان ليعرف به الخير والشر، ويميز بين النافع والضار. فالله غرس في الإنسان هذه البصيرة الأخلاقية وجعلها غريزة تساعده على جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، يستطيع بها أن يميز بين الخير وبين الشر، والحسن والقبيح، ويصدر بها احكاما تقوّم سلوكه وتحدد اتجاهه ليسترشد بها في بناء نفسه وتربطه بمجتمعه وتنأى به عن الانحراف"[1] وتعود به إلى حقيقة وجوده، ومعدنه الأول، لأن فطرة الإنسان مهما علقت بالسراب أو خدعتها الآمال الكذاب لا تموت ولا تتحول إنها تحن دوما إلى معدنها الأول ومصدرها الأصيل

2-المعارف التي تعتمد على الفطرة البشرية السليمة:

للإنسان مدركات فطرية يصفها القرآن ويؤكد سلامتها وصحتها كطريق للمعرفة، فأصل الدين المودع لدى الإنسان هو أمر مطابق للفطرة وذلك سواء في تشريعاته وتنظيماته، أو في أساسه وهو الاعتقاد بواحد أوجد الوجود. ذلك أنّ للفطرة الإنسانية مدركات أولية وجدانية صحيحة حول توحيد الله تظهر عندما يكون الإنسان في حالة صفاء وتوازن داخليين، ولكن عندما تلوثه الذنوب المتراكمة والأفكار المنحرفة، تتأثر فطرته بذلك فيفقد الإنسان القدرة على المعرفة الوجدانية المباشرة التي تمتلكها الفطرة السليمة، وهذا ما يدل عليه الحديث الشريف المشهور "كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه..."[2]

إنّ الإنسان مخلوق أودع فيه نفحة من روح الله سبحانه، تستبطن هذه النفحة العلم، والادراك بوجوده تعالى ووحدانيته، ومن الآيات التي تطرقت إلى ذلك: **[قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ]** براهيم: 101

فكأن معرفة الله مسألة فطرية، وكل شيء يدل عليه. وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنّه واحدٌ كما في قوله تعالى: **[وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ]** لقمان: 32.

وغيرهما من الآيات التي تتحدث عن توجه الإنسان بفطرته ولا شعورياً إلى الله إذا واجهه خطر ما، كما إذا ركب السفينة وغشيه الموج، وحالات النزع وسكرات الموت، كما يصف تعالى فرعون المتجبر أثناء غرقه:

[1]-محمد السيد الجليند، الخير والشر في الفكر الإسلامي، ط2، دار التقدم، القاهرة، 1981م، 231.

[2]-صحيح البخاري، رقم(1358)، وصحيح مسلم رقم(6755)

[وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ] يونس: 90.

المصدر الثالث: العقل

1-تعريف العقل لغة:

العقل في اللغة: مصدر عقل يعقل، تقول: عقلت البعير أعقله عقلا، وأصل معنى مادته الحبس والمنع، وسمي عقل الإنسان عقلا، لأنه يعقله، أي: يمنعه من التورط في الهلكة، كما يعقل العقال البعير عن ركوب أسه، كما سمي عقل الإنسان حجرا لأنه يحجره عن فعل ما لا يليق، وكما سمي نهية لأنه ينهاه عما يضره، فكذلك العقل، يعقل الإنسان عن مشابهة الحيوان، ويقال: عقل الرجل يعقل عقلا إذا كان عاقلا، ويجيء المصدر منه على معقول، ولذا يقال: ماله معقول، أي: عقل، والمعقول أيضا ما تعقله بقلبك".[1]

وقيل إنه اشتق من المعقل، وهو الملجأ، فكأن الإنسان يلتجئ إليه في أحواله.

وفي القاموس المحيط: "العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرّين لأمور أو لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الأعراض والمصالح...(وهو) نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية" [2]

ولم ترد مادة العقل في القرآن إلا على صيغة الفعل: عقلوه، تعقلون، وورد من مرادفاته الحجر والنهى جمع نهية، كما ورد لفظ الألباب في عدة مواضع، وواحد الألباب لب، وهو خالص الشيء ونقاوته، وسمي العقل لبا "لأنه خلاصة الإنسان، أو أنه لا يسمى ذلك إلا إذا خلص من الهوى وشوائب الأوهام، فعلى هذا هو أخص من العقل"

كما جاء ذكر الأحلام بمعنى العقول والألباب في قوله تعال: **[أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا]** الطور: 32

2-معنى العقل في الاصطلاح:

تعددت مسميات العقل بحسب استعمال هذا اللفظ، إلا أن هذه المسميات لا تخرج في معانيها عن

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة(عقل)، ج11، ص458.

-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج3، ص18.

[2]- المصدر نفسه، ج3، ص19,

الأصل اللغوي لمادة العقل، الذي هو المنع والحبس.

أ-يستعمل العقل بمعنى الغريزة المدركة، التي جعلها الله تعالى ميزة لإنسان على سائر الحيوان، وهي التي يفقدها المجانين، ويسقط بفقدها التكليف الشرعي عن الإنسان.

ب-يطلق العقل على العلوم الضرورية التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات، كما يُطلق على العلوم النَّظرية التي تحصل بالنَّظر والاستدلال

وهذان المعنيان من معاني العقل فطريان غريزيان، يشترك فيهما جميع العقلاء على حد سواء، ولا يقع التفاوت فيما بينهم إذ النقص فيها ضرب من الجنون، ينزل بصاحبه عن رتبة العقلاء.

ج-يطلق العقل على إدراك المعارف النظرية، وما يستفاد من التجارب الحسية، وكل العلوم التي تحصل بالنَّظر والاستدلال فالنَّاس يتفاوتون فيها، ويتفاضلون فهذه تحتاج إلى تفكير وتأمّل مثل الحساب والاستنباط والقياس، وهذه الأشياء التي تكون في الحياة الدنيا مما يحتاج إلى نظر أو ضبط.[1]

ويدخل في هذا ما أسماه الحارث المحاسبي فهم البيان، أراد بذلك إصابة العاقل المعنى الصحيح لكل ما يسمعه في أمور دينه أو دنياه، ولكل ما يدركه بحواسه، فيدخل في ذلك فهم ما في القرآن وسائر كتب الله من المواعظ والآيات البينات[2]، كما في قوله تعالى عن أهل الكتاب: **[يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]** البقرة: 75

فأثبت أنهم عقلوه، أي فهموا معناه وأدركوه وإن كانوا خالفوه وكفروا به، فذلك لا يمنع من اتصافهم بهذا المعنى من معاني العقل.

وهذا المعنى من العقل هو الذي يسمى فاقده والقاصر فيه غبيا وجاهلا وأحمق، ولا يسقط التكليف عنه بخلاف المعنى الأول.

د-والمعنى الرابع الذي يُطلق عليه العقل: الأعمال التي تكون بموجب العلم، ولذلك قال الأصمعي: "العقل هو الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن ".

---

[1]-ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: موسى سليمان الدويش، ط1، مكتبة العلوم والحكم، 1408هـ، ص260.

[2]-الحارث المحاسبي، العقل فهم القرآن، تحقيق: حسن القوتلي، ط1، دار الفكر. بيروت، 1391هـ-1971م، ص208.

هـ-ويطلق العقل على العمل بمقتضى العلم، وهذا المعنى هو الذي نفاه الكفار عن أنفسهم بعد دخولهم النار، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَع أَوْ نَعْقِل مَا كُنَّا مِنْ أَصْحَاب السَّعِير]** الملك: 10، وهو المراد في قوله تعالى: **[وَلَلدَّار الْآخِرَة خَيْر لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]** الأنعام: 32

وقوله تعالى: **[أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]** البقرة: 44 ونحوها من الآيات التي تنزل ترك العمل بمقتضى العلم منزلة عدم العلم والفهم أصلا، باعتبار أن العمل هو مقتضى فهم الخطاب والعلم به.

وقد يسمى العقل بهذا الإطلاق معرفة وبصيرةو جاء في تعريف الأصمعي للعقل بهذا الإطلاق قوله: "العقل: الإمساك عن القبيح، وقصر النفس وحبسها على الحسن"

3-مكانة العقل كمصدر للمعرفة:

مما لا شك فيه أن للعقل بجميع معانيه مكانة عالية، وما يرد من ذم أصحاب العقول أحيانا فهو باعتبار نقصها أو اختلالها عندهم، فالذم متجه إلى نقص العقل لا إلى العقل ذاته. وهذا ما يزيد في إكبار العقل وتعظيم قدره أن تكون زيادته مدحا ونقصه ذما، ولم يرد في القرآن ولا في السنة في شأن العقل إلا ما يفهم منه أنه بهذه المثابة.

إن العقل إنما يدرك الأشياء لا على وجه الإحاطة التامة والمعرفة الكلية، وإنما يعلمها بوجه جملي، ثم قد يعلم بعض التفاصيل من طريق السمع أومن طريق ما تمده به الحواس من معلومات. ولو كان العقل مدركا للأشياء جملة وتفصيلا، محيطا بالعلم بها إحاطة تامة لاستوى علم المخلوقات بعلم الخالق، ولا استغنى الخلق عن الوحي ولا استقلوا بعقولهم، وبطلان ذلك معلوم بالضرورة.

والعقل يوصل إلى معرفة أصول الاعتقاد على وجه الإجمال، كالإقرار بوجود الخالق جل وعلا ووجوب إفراده بالعبادة والتأليه، وإثبات الكمال والتنزيه له، كما قد يدرك وجوب الجزاء الأخروي، والبعث بعد الموت، وإرسال الرسل إلا أن ذلك يعرفه العقل ويثبته على وجه الإجمال لا التفصيل، إذ التفصيل وظيفة السمع، وهي مما لا طاقة للعقل بالاستقلال به، وغاية وظيفة العقل كما أشرنا، إدراك إمكانها بحسب ما جعل الله تعالى فيه من علوم ضرورية، ومعارف أولية.

ولو كان العقل يُدرك الغيبيات لتساوى البشر مع الله في العلم في علم الغيب، وكذلك فإن الإدراك وهو

العلم بتفاصيل الأمور والصفات والأحوال والأفعال والأحكام ليس إلا لله تعالى، ولا يمكن العقل في قصوره وضعفه أن يستخرج هذه الأشياء، مثال على ذلك: الروح التي هي سِرُّ الحياة، إذا مات الإنسان خرجت روحه، وكذلك إذا نام، لكن لا تنفصل عنه انفصالاً كلياً، "قل الروح من أمري ربي " لا نعرف كيفيتها، ولا شكلها ولا طعمها ولا منظرها ولا وزنها، ولا نعرف عنها ولا عن حدودها شيئا. فإذاً مجال العقل هو العلوم الضرورية والنَّظرية، وليس مجالها العلوم الغيبية.

المصدر الرابع: الإلهام

الإلهام:

الإلهام في اللغة هو ما يلقى في الروع، واستلهمه إياه: سأله أن يلهمه إياه، وألهمه الله خيرا: لقنه إياه[1].

أما اصطلاحا: فقد عرفه الجرجاني بقوله: الإلهام: «ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة»[2].

وذكر سعد الدين التفتازاني أن الإلهام هو: «المفسر بإلقاء معنى في القلب بطريق الفيض»[3].

والعلم الرباني قسمان، قسم ينال بالوحي يسمى النبوة ويتعلق بالأنبياء والرسل. وقسم ينال بالإلهام ويسمى المعرفة الإلهامية أو اللدنية أو الكشفية ويتعلق بالمخلصين والأتقياء من غير الأنبياء والمرسلين.

الفرق بين الإلهام والحدس:

الحدس مصدر من مصادر المعرفة الذي يتم فيه الإدراك لحقائق الأشياء بصورة سريعة ومفاجئة كلمح البصر دون الاعتماد على معطيات العقل أو الحواس. والحدس عند التهانوي هو «تمثل المبادئ المترتبة في النفس دفعة واحدة من غير قصد واختيار، وهو مأخوذ من الحدس بمعنى السرعة في السير، ولهذه عرف في المشهور بسرعة الانتقال من المبادئ إلى المطلوب بحيث كان حصولهما معا»[4].

وإذا كان الإلهام خاص ببعض المؤمنين من الأولياء والصالحين فإن الحدس أمر مشترك بين جميع الناس

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج 12، ص554-555.

[2]-الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص35.

[3]-سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1407هـ-1987م، ص45.

[4]- محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دط، منشورات عويدات، بيروت، 1970م، ص487.

(المؤمن والكافر). وهو لا يدل على إيمان ولا على صلاح، وقد عدّه ابن القيم نوعا من أنواع الفراسة حيث يقول: «أن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها»[1].

أما الصوفية فيرون أن الإلهام أو «علم المكاشفة هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة: وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماؤها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامات، وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوة والنبي، ومعنى الوحي والشيطان...».[2]

والإلهام لغير الأنبياء لا يعتد به في أمور العقيدة لأن صاحبه مفتقد للعصمة التي اختص الله بها الأنبياء والرسل، فما يعتقده الإنسان إلهاما من الله قد يكون في حقيقته تلبيسا من الشيطان أو من حديث النفس.

---

[1]- ابن القيم، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقهي، دط، دار الفكر، بيروت، دت، ج2، ص486

[2]-أبوا حامد الغزالي، الإحياء، مصدر سابق، ج1، ص30

المحاضرة الرابعة:

الأصول في علم العقائد، الفروع في علم العقائد

1-الأصول في علم العقائد:

استعمل مصطلح أصول الدين أو أصول العقائد للدلالة على الأسس والقواعد التي ينبني عليها الدين الإسلامي، والأصول كما جاء في تعريف الجرجاني هي جمع أصل "والأصل ما ينبني عليه غيره، وفروع الشرع مبنية على أصوله، فما يجوز فيه الخلاف مبني على ما لا يجوز فيه"[1]وعلم العقائد كغيره من العلوم يشتمل على أصول وفروع.

1- **الأصول:** وهي المسائل أو المباحث العقدية الكبرى المنبثقة عن الوحي والتي لا يجوز فيها الاختلاف، وهي الأصول الستة التي وردت في القرآن الكريم وجعلها الله تعالى من البر، وأجاب بها جبريل الرسول –صلى الله عليه وسلم–وآمن بها الرسل والمؤمنون مما يجب أن يعتقده المؤمن ويصدق به.

2– قال تعالى: **[آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" البقرة: 285 وقال تعالى: [لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ] البقرة:177**

3– وقال تعالى:**[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ] القمر: 49**

وفي الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب–رضي الله عنه– قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[2]

---

[1]–الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ–1983م، ص30.

[2]–صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في سؤال جبريل النبي ρ عن الإيمان وغ–لإحسان وعلم الساعة، رقم 10.

هذه الأصول لم يقع عليها خلاف ولا جدال في أصلها ولا في تقريرها. وإنما وقع الجدل والخلاف في تفسيرها وما نتج عنها.

2-الفروع في علم العقائد

الفرع في اللغة: يدل على: "علو وارتفاع وسمو وسبوغ، من ذلك الفرع"[1] و"الفرع أعلى كل شيء وجمعه فروع، وهو ما يتفرع عن أصله، والجمع فروع"[2]، ومنه: يقال فرّعت من هذا الأصل مسائل فتفرّعت، أي استخرجت فخرجت

اصطلاحا: يراد بالفروع معنى الشيء المتشعب من القاعدة الكلية. ويكون من جزئياتها ومسائلها، والتي تكون محلا للاجتهاد والاختلاف، وذلك على اعتبار أن معنى الأصل هو الركن أو الأصل الذي يقوم عليه الشيء وبزواله يزول.[3]

وعليه فلفروع في العقائد هي ما تفرع عن أحد الأصول العقدية الستة أو نشأ عن واحدة منها، كمصير مرتكب الكبيرة، ومسألة رؤية الله، وقضية الفعل الإنساني بين الحرية الاختيار والجبر، وتعذيب الميت ببكاء أهله.

---

[1]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج4، ص491

[2]-المصدر نفسه، ج3، ص27.

[3]- شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، مشروعية الاجتهاد في فروع العقيدة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ص7.

المحاضرة الخامسة:

أسباب الاختلاف في مسائل العقيدة

قبل البدء في خوض بيان أسباب الاختلاف في مسائل العقيدة ينبغي التنبيه إلى إن اختلاف المسلمين في مسائل العقيدة لم يتناول القضايا العقدية الكلية، فلم يكن الاختلاف في وحدانية الله تعالى، وشهادة أن محمدا رسول الله ρ ولا في أن القرآن وحي منزل من عند الله، وأنه معجزة الإسلام الكبرى، ولا في أنه يروى بطريق متواتر نقلته الأجيال الإسلامية كلها جيلا بعد جيل، ولا في أصول الفرائض، كالصلوات الخمس والزكاة والحج والصوم، ولا في طريق أداء هذه التكليفات، أي أن الخلاف لم يكن في ركن من أركان الإسلام ولا في أمر علم من الدين بالضرورة كتحريم الخمر والخنزير، وأكل الميتة، والقواعد العامة للميراث، وإنما الاختلاف في أمور لا تمس الأركان والأصول العامة.

الأسباب التي أدت إلى الاختلاف في مسائل العقيدة

1–القرآن الكريم: يعد القرآن الكريم المنطلق الأول لنشأة علم العقيدة وذلك لاحتوائه على:

–آيات تحث على النظر والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية، وفي خلق الإنسان، ليدرك حقيقة الموجود المطلق الله الخالق المستحق للعبادة وحده دون سواه، قال تعالى: **[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ]** آل عمران 190

ويقول تعلى ذكره: **[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]** البقرة: 164.

–إن القرآن الكريم بجانب دعوته إلى التوحيد والنبوة وما إليهما عرَض لأهم الفرق والأديان التي كانت منتشرة في عهد في زمن النبي ρ فرد عليهم ونقض قولهم؛ فحكى عن قوم أنكروا الأديان والإلهيات والنبوات، وقالوا: **"ما يهلكنا إلا الدهر"** ورد عليهم بمختلف الدلائل.

-عرض للشرك بجميع أنواعه؛ فمن المشركين من ألَّه الكواكب واتخذها شريكة لله، فرد عليهم بمثل آية إبراهيم: **[فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الأَفِلِينَ]** ومنهم من ألَّه عيسى عليه السلام، فردَّ عليهم في مواضع عدة وقال: **[إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ]**.

-حكى عن قوم أنكروا النبوات جميعًا فقالوا: **[أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولًا]** ورد عليهم

-أورد رأي قوم أنكروا الحشر والنشر، فرد عليهم بقوله: **[كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خلْق نُّعِيدُهُ]**، إلى غير ذلك.

-عرض لمسائل التكليف والجبر، والاختيار وأبان الحجة فيها

-حكى عن طائفة من المنافقين يوم أحد أنهم قالوا: **[هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ]** وقالوا: **[لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَئْ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا]** ورد عليهم في قولهم. وأمر الرسول أن يدعو دعوته، ويجادل مخالفيه، فقال تعالى: **[ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنة وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ]**

فكان طبيعيًا أن ينهج علماء المسلمين هذا المنهج فيردوا على المخالفين، ويتوسعوا في الدفاع توسع المخالفين في الهجوم، ويجددوا الحجج في الرد كلما جدد المخالفون الحجج في الطعن.

تأثير السنة الشريفة:

ناظر النبي –صلى الله عليه وسلم-المشركين وأهل الكتاب بمرأى ومسمع من المسلمين، كاحتجاجاته مع نصارى نجران في السنة العاشرة للهجرة حتى أنه صلى الله عليه وسلم-دعاهم إلى المباهلة.

2-التنازع على الخلافة:

يذكر الأشعري "أن أول خلاف حدث بين المسلمين من بعد نبيهم –صلى الله عليه وسلم- اختلافهم في الإمامة، فلقد انقسم المسلمون إلى ثلاث فرق، كل فريق يرى أنه أولى بالإمامة، فلقد رأى الأنصار أنهم أحق الناس بالخلافة لأنهم أول من آوى الرسول ونصره، ورأى المهاجرون أنهم أحق الناس بالخلافة لأنهم أول الناس إسلاما، وكانوا قرشيين في معظمهم، ورأى بنو هاشم أنهم أقرب القرشيين إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- وهم أحق بالخلافة"[1]

[1]-أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ط1، المكتبة المصرية، القاهرة، 1426هـ-2005م، ج1، ص39.

وقد انقسمت مواقف الصحابة – رضوان الله عليهم –في هذا الأمر إلى ثلاث مواقف أو اتجاهات :

الموقف الأول: موقف الأنصار الذين اجتمعوا عقب وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا أن ينصبوا (سعد بن عبادة) زعيم قبيلة الخزرج لرئاسة المسلمين.

الموقف الثاني: هو موقف المهاجرين وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح الذين رأوا أن المهاجرين أولى الناس بخلافة النبي –صلى الله عليه وسلم– فهم أحق الناس بميراثه وسلطانه وتولي الأمر من بعده.

وقد دار نقاش طويل بين الفريقين، اقتنع في نهايته أغلب الأنصار بحق المهاجرين في الأمر، وبايعوا أبو بكر–رضي الله عنه–

أما **الموقف الثالث:** فقد تمثل بعلي –رضي الله عنه– ونفر من بني هاشم أسرة النبي –صلى الله عليه وسلم–وآل بيته الكرام الذين لم يحضروا النقاشات التي دارت في سقيفة بني ساعدة، لأنهم كانوا مشغولين بمراسيم جنازة النبي –عليه الصلاة والسلام– وبعد انتهائهم كان الأمر قد انتهى بمبايعة أبي بكر –رضي الله عنه–فاعترضوا على ذلك طبقا لما تورده المصادر انطلاقا من نفس المبدأ الذي احتج به المهاجرون على الأنصار ورأوا بأن عليا–رضي الله عنه– هو أولى الناس بخلافة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–

وهكذا تم تجاوز الخلاف السياسي وتمت البيعة لأبي بكر –رضي الله عنه– وأذعن له الأنصار وبنو هاشم، وبقي المسلمون مجتمعا واحدا متماسكا، ولم يؤد الاختلاف لا لانشقاق، ولا لنزاع ولا لتتفرق، ولا لظهور فرق أو مذاهب، بل كانت مواقفهم المتباينة في شأن الخلافة مستندة إلى الرأي والنظر.

واشتدت الخلافات بعذ ذلك حول الحكم والسياسة وأدت إلى انقسام المسلمين إلى شيعة وخوارج ومرجئة.

ولقد أثار هذا الجو المشحون ذو الطابع السياسي جدلا دينيا فلسفيا، حول موضوع الإيمان، إذ أن كل فريق يرمى غيره بالكفر والخروج عن الدين، ومفارقته لجماعة المؤمنين، فأصبح التساؤل عن الإيمان وحقيقته ومن هو المؤمن ومتى يخرج صاحبه من الإيمان، وهل هو مجرد تصديق أم أنه يتضمن العمل؟ ولقد أدخل الخوارج والشيعة في الإيمان، ليتسنى لكل فريق أن يكفر الآخر، بحجة أنه لم يأت بشرط العمل.[1]

[1]–علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية–مدخل ودراسة–، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م، ص56.

3–شيوع عقيدة الجبر

ولقد شاعت عقيدة الجبر في ظل الحكام الأمويين، فلم يكن تولى معاوية للحكم يلقى رضا واتفاقا من جميع المسلمين، وغنى عن البيان ذكر معارضة على بن أبي طالب وحروبه مع معاوية، ومعارضة الشيعة والخوارج لتولى معاوية، كذلك لم يكن للأمويين فضل السبق في الإسلام بل كانوا من الطلقاء أو المؤلفة قلوبهم ممن أسلم عقب فتح مكة، «وكان لابد لهم أن يدعموا سلطانهم ويعرضوا نقص أهليتهم لإمامة المسلمين حتى يكرهوا الناس على طاعتهم بالفكرة إلى جانب القوة، ولم تكن الفكرة إلا عقيدة الجبر، فوصولهم إلى الحكم وسلطانهم على الناس بل وأعمالهم التي قد يخالف بعضها تعاليم الإسلام، إنما بقدر من الله قد قدره لا حيلة للناس في دفعه»[1].

ويؤكد هذا ربط القاضي عبد الجبار بين القول بالجبر والأحداث السياسية، فذكر أن أول من قال به وأظهره معاوية، فأظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً فيما يأتيه، ويوهم أنه مصيب فيه[2].

ولقد كان رد الفعل لشيوع عقيدة الجبر، ان جاهز البعض معارضين مبدأ الجبر، وهؤلاء سموا قدرية، وأولهم معبد الجهنى (المتوفي 80هـ) الذي أتى الحسن البصري مع عطاء بن يسار قائلا: يا أبا سعيد، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما اعمالنا على قدر الله.

وهكذا نشأت مشكلة الجبر والاختيار في ظل تلك الظروف السياسية، ومثل الجبرية جهم بن صفوان، وهو من أوائل القائلين بالجبر، ومعبد الجهنى وغيلان الدمشقى من أوائل القائلين بحرية الإرادة.

4–ورود المتشابه في القرآن الكريم:

قال تعالى: **[هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ]** آل عمران: 7

بهذه الآية ثبت ورود المتشابه في القرآن الكريم، ليختبر الله سبحانه وتعالى قوة الإيمان في المؤمنين، وقد كان وروده سببا في اختلاف العلماء في مواضع المتشابهات من القرآن الكريم، وحاول كثيرون من ذوي الأفهام

---

[1]_. أحمد صبحى، في علم الكلام، ط5، دار النهضة العربية، بيروت، 1505هـ-1985م، ص 20.

[2]_ المرجع نفسه، ص20

تأويله، والوصول إلى إدراك حقيقة معناه، فاختلفوا في التأويل اختلافا مبينا.

-العوامل الخارجية:

تمثل العوامل الخارجية لنشأة علم العقيدة أهم العوامل التي أدت إلى قيام علم العقائد، فلقد اضطر المسلمون إلى مجادلة مخالفيهم، الذين التقوا بهم بعد امتداد الفتح الإسلامي للبلدان الكثيرة شرقا وغربا، فكانت مناقشات بينهم وبين أصحاب الديانات الشرقية القديمة، وبينهم وبين أصحاب الديانات السماوية السابقة على الإسلام كاليهودية والنصرانية، وسنتناول هذا العامل بشيء من التفصيل لأهميته.

1-أصحاب الديانات الشرقية القديمة

يعد الفكر الشرقي من أهم عوامل نشأة علم العقيدة، فيذكر "دي بور" أن ما أفاده المسلمون من الحكمة الهندية والفارسية أكبر شأنا من كل ما ورثوه عن العقل السامي، ونستطيع أن نعرف في شيء من اليقين ما أخذه المسلمون مباشرة عن الفرس والهنود"[1]. وقد وجدت هذه الديانات في البلاد التي فتحها المسلمون، ومن أهمها:

-الصابئة:

أصل كلمة الصابئين من قولهم صبأت، إذا خرجت من شيء إلى شيء، وصبأت النجوم إذا خرجت، والصابئون هم الخارجون من دين إلى دين[(2)].

ويرى الشهرستاني أن المعنى اللغوي لكلمة الصابئين يعني الزيغ والميل عن سنن الحق «ففي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء، قيل لهم الصابئة وقد يقال صبا الرجل إذا عشق وهوى وهم يقولون الصبوة هو الانحلال عن قيد الرجال».[(3)]

يقولون بعدم الحاجة للأنبياء، ويقولون: «والأنبياء أمثالنا في النوع وأشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة أناس بشر مثلنا فمت أين لنا طاعتهم وبأية مزية

---

[1]-دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر: محمد عيد الهادي أبو ريدة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1368هـ-1948م، ص10-13.

[(2)]_ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ-2001م، ص 74.

[(3)]_الشهرستاني، الملل والنحل، دار المشرق، بيروت، 1986م، ج3، ص 95.

لهم لزم متابعتهم»[1].

ويعتقد الصابئة: "أن مدبر هذا العالم وخالقه، هذه الكواكب السبعة والنجوم، وهذا ما ذكره الرازي عنهم وذكر أنهم عبدة الكواكب[2].

ولقد ذكر ابن الجوزي قولهم في قدم العالم، وأنهم عبدوا الكواكب وقالوا بأن الله عز وجل لا يوصف إلا بالنفي، وقالوا بتناسخ الأرواح، وأن الثواب والعقاب في التناسخ[3].

ووحد ابن حزم بينهم وبين المجوس في القول بقدم الأصلين، إلا أن الصابئة يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والروح الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ويقربون الذبائح لها[4].

-البراهمة:

يذكر ابن حزم: " أن البراهمة هم قبيلة بالهند فيهم أشراف اهل الهند، ويقولون إنهم من ولد برهمى ملك من ملوكهم قديم، ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف، وهم يقولون بالتوحيد عل نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات"[5].

ويقسمهم الباقلاني إلى فرقتين، فمنهم قوم مجدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز في حكمة الباري وصفته أن يبعث رسولا إلى خلقه، وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقى الرسالة عن الخالق، والفريق الآخر قال: إن الله ما أرسل رسولا إلى خلقه سوى آدم، وكذبوا كل مدع للنبوة سواه، وقال قوم منهم: بل ما بعث الله غير إبراهيم وحده، وأنكروا نبوة من سواه[6].

ولقد ذكر الباقلاني والقاضي عبد الجبار وابن الجوزي وغيرهم حجج البراهمة في إنكار النبوات وقاموا بالرد عليها.

ومن أهم عقائد البراهمة هو القول بتناسخ الأرواح، والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم

---

[1]_المصدر نفسه، ج2، ص 96.

[2]_الفخر الرازي، اعتقادات المسلمين والمشركين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1356هـ-1938م، ص 143.

[3]_ابن الجوزي، تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص 74، 75.

[4]_ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ط2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ-1996م، ج1، ص 34-35.

[5]_المصدر نفسه، ج1، ص 96.

[6]_الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ-1987م، ص 104.

إلى العالم الأرضي في جسم آخر.

والتناسخ يعني خلود الروح وأيضا حسابها على ما قدمت، لكن الحساب عند البراهمة يتم على الأرض في هذه الحياة الدنيا، وليس في الآخرة كما تقول الأديان السماوية، فالأرض عندهم دار جزاء وثواب [1].

وعلى هذا فالبراهمة ينكرون النبوات، ويقولون بتناسخ الأرواح وفي هذا إنكار للثواب والعقاب في الآخرة.

-المانوية:

تنسب إلى ماني بن فاتك، وقد قيل إن أصل أبيه من همدان، انتقل إلى بابل، ويذكر ابن النديم ولادة ماني غير الطبيعة، وما ذكره أصحاب ماني من أساطير حول ولادته وما أحاطوها من الأساطير ليضفوا على ولادته نوعا من القداسة[2].

والمانوية تقول بأصلين قديمين هما النور والظلمة، وهما مختلفان من حيث الجوهر والنفس والفعل والحيز والجنس والصفات.

أما اختلافهما من حيث الجوهر، فجوهر النور حسن فاضل كريم صاف نقى طيب الريح حسن المنظر، أما جوهر الظلمة فقبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر.

وأصل العالم مكون من امتزاج النور بالظلمة، ولقد اختلفت المانوية في كيفية الامتزاج، فلقد قال بعضهم إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار، فلم تزل الظلمة تجول في عالمها فوقعت على النور بالخبط لا بالقصد.

ولقد ذكر البغدادي أن المانوية تقول بتناسخ الأرواح، وذلك أن ماني قال فيبعض كتبه: "إن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: ارواح الصديقين، وأرواح أهل الضلالة، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت الحلوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن

---

[1]_انظر: د.أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م، ص 67-69.

[2]_ابن النديم، الفهرست، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ-1997م، ص 456-458.

تصفوا من شوائب الظلمة، ثم تلتحق بالنور العالي"[1].

وعن رأى ماني في الرسل الذين بعثهم الله إلى الناس، فيذكر القاضي عبد الجبار، قول ماني في أن أول ما بعث الله تعالى بالعلم آدم ثم شيثا ثم نوحا، وبعث زرادشت إلى فارس وبالبددة إلى أرض الهند، وعيسى المسيح إلى بلاد الغرب ثم ماني خاتم النبيين[2].

-المجوس:

هم قوم من الثنوية، القائلين بالاثنين، فلقد أثبت المجوس أصلين اثنين مدبرين قديمين، ويقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور ومنه الخير وهو "يزدان" والآخر هو الظلمة ومنه الشر وهو "اهرمن".

ولقد اختلفت المجوس في قدم الأصلين: فزعم كثير منهم أن الله تعالى قديم والشيطان محدث، أي أن النور قديم والظلمة محدثة، واجتمعوا على أن العالم محدث، ومن الله حدث الشيطان، ويختلفون على أقاويل، منهم من قال: إن الله تعالى فكر وقال أخاف أن يحدث في ملكي من يضادني، فحدث من ذلك الفكر الرديء الشيطان.

ج-الزرادشتية: هم أصحاب زرادشت بن بورشب، الذي ظهر في زمن كشتاسف بن لهراسب الملك، وأبوه كان من أذربيجان وأمه من الرى، وتذهب الأساطير والروايات المختلفة إلى الولادة غير الطبيعة لزرادشت، ويحيطونه بشيء من التقديس، وأن الله قد أكرمه واختاره.

وعن الدينة الزرادشتية، فذكر الشهرستاني أن زرادشت قد دعا إلى عبادة الله والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث.

ولقد قال بالنور والظلمة وهم أصلان متضادان، وكذلك يزدان واهرمن، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحديث الصور من التراكيب المختلفة، والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، لكن الخير والشر

---

[1]_البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م، ص 271.

[2]_القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ج5، ص 15.

والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، وهما يتقاومان ويتغالبان، إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه، والشر ينحط إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص[1].

-اليهودية:

تزخر قضية الألوهية بالعديد من صور التشبيه والتجسيم، وقد سجل القرآن الكريم الكثير من المواقف والأمثلة على ذلك:

1-طلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها كعباد الأوثان، وهي قمة الجهل والتمسك بالمادية والوثنية التي رسخت في نفوسهم، قال تعالى: **[وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ]** الأعراف:138

2- اتخاذهم العجل وعبادتهم له من دون الله: وهي إشارة إلى استمرار تأثرهم بعبادة الأوثان, قال تعالى: **[وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ]** الأعراف:148، وقال تعالى: **[فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا]** طه:88 – 89.

3-تعليقهم تصديقهم لموسى عليه السلام برؤيتهم الله جهرة: وهي نظرة مادية مفرطة في التجسيم والتشبيه لله تعالى بالبشر، قال تعالى: **[وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ]** البقرة:55 وقال تعالى: **[يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ]** النساء: 153.

4-اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله: وهي تجسيد للنزعة المادية في المعتقد اليهودي في الإله, قال تعالى: **[اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ]**التوبة:31 .

5-جعلهم لله ولدا وقولهم: العزير ابن الله: قال تعالى: **[وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى**

[1]_الشهرستاني، الملل والنحل، مصدر سابق، ج2، ص 87، 79.

الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] التوبة:30.

6-ادعاؤهم أن الله مخلوق: أتى رهط من اليهود رسول الله ρ فقالوا له: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه ؟! قال: فغضب رسول الله ρحتى انتقع لونه، ثم ساورهم غضبا لربه، فجاءه جبريل فسكنه فقال: اخفض عليك جناحك يا محمد، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: **[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] الإخلاص 1-4**[1]

7-وقد تحدث الإمام السيوطي رحمه الله عن انحراف اليهود في توحيد الله تعالى, وبين أنهم أشركوا به سبحانه, وهم على علم أنه إله واحد لا شريك له, فقال تعالى: **[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** البقرة: 22 قال: الخطاب هنا موجه إلى اليهود, **[فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا]** أي عدلاء، **[وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** أي تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل لا ند له.[2]

8-ادعاؤهم أنهم أبناء الله وأحباؤه: وهذا من الشرك وتحريف وحدانية الله تعالى، قال تعالى: **[قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ]** المائدة: 18

وقد ورد في سفر التكوين ظهور الله لنبي الله إبراهيم عليه السلام، هو واثنين من الملائكة، وأنهم غسلوا أرجلهم واتكئوا تحت شجرة ليستريحوا، وأنهم أكلوا خبزا وشربوا لبنا ... تعالى الله عن ذلك[3]

كما ورد في سفر التكوين كذبهم وافتراءهم على الله تعالى بأنه تعب بعد الخلق فاستراح في اليوم السابع من جميع أعماله "وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل, وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح ..." [4]

---

[1]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ-1994م، ج14، ص28، أنظر: ابن هشام، سيرة النبي، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1412هـ-1995م، ج3، ص110.

[2]-جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، دط، دار الفكر، بيروت، دت، ج1، ص89.

[3]-سفر التكوين 1/18-س8.

[4]-سفر التكوين1/2-2.

-المسيحية:

التثليث هو جوهر العقيدة المسيحية، والله له ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح القدس، وهذه كلها واحد. فانحدر الله -أو الكلمة-وحل في مريم البتول وتجسد إنسانا ولد منها وهو يسوع، واختلوا في كيفية التجسد والاتحاد إلى عدة فرق منها الملكانية والنسطورية واليعقوبية. [1]

وقد انبرى لمناقشة هذه الانحرافات التي شوهت صورة الألوهية في الديانة المسيحية مجموعة من العلماء الذين اثبتوا بالدليل العقلي بطلان هذه الادعاءات معتمدين على ما جاء في القرآن الكريم في العديد من الآيات المحكمات فساد وبطلان عقيدة التثليث ألوهية المسيح.

قال تعالى: **[قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا]** مريم: 30

[إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] النساء:171.

[إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ] النساء: 71.

[إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] آل عمران: 59.

[لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] النساء: 172- 173

[1]- علي عبد الفتاح المغربي، مرجع سابق، ص88.

المحاضرة السادسة:

أركان الإيمان

الركن الأول: الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو أعظم هذه الأركان فجميع الأركان الأخرى تنبني عليه ولا تصح بدونه، وهو أساس العقيدة الإسلامية، وأصل أصول الإيمان وأهمها فجميع الأصول الأخرى متفرعة عن الإيمان بالله تعالى، والدين الإسلامي بالكليّة مبني على توحيد الله سبحانه وتعالى.

أولا: منهج القرآن الكريم في إثبات وجود الله:

والإيمان بالله هو الركن الأول من أركان الإيمان والأساس الذي تقوم عليه بقية الأركان، والدلالة عليه تكون من وجوه عديدة،

1-الدليل الفطري[1]:

يقصد بالدليل الفطري أن كل إنسان يولد على صفة يلزم منها إقراره بأن له خالقاً مدبراً،[2] فهي صفة مركوزة في النفس البشرية، ويمكن الاستدلال عليها من قوله تعالى: **[فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون]**الروم: 30.

يقول الرازي: "فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلّته يتضرع إلى من يخلّصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها، وما ذاك إلا شهادة الفطرة بالافتقار إلى الصانع المدبر،[3]" فالإنسان في الشدائد يتوجه إلى القوة الغيبية التي أوجدته، فيتقرب منها ويلجأ خائفا متضرعا لتخرجه من الضيق والهم إلى الفرج والنجاة:

---

[1]-أنظر محاضرة مصادر المعرفة العقدية، ص20.

[2]- سعود بن عبد العزيز العريفي، الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 1419هـ، ج1، ص.235

[3]-الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج1، ص71

فالمقصود بالفطرة هنا الإسلام، فالله جل جلاله فطر الناسَ على دين الإسلامِ والتوحيد. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما مِنْ مولودٍ إلا يولدُ على الفِطْرَةِ، فأبواه يهوّدانِهِ، أو ينصّرانِهِ أو يمجّسانِهِ، كما تُنْتِجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسّون فيها مِنْ جَدْعاء»؟ وفي الحديث القدسي: «يقول تبارك وتعالى: إنّي خَلَقْتُ عبادِي حنفاء كلَّهم، وإنّهم أتتهم الشياطينُ فاجْتالَتْهُم عن دينهم». ومعنى (حنفاء) أي: مائلينَ عن الأديانِ كلِّهم إلى دين الإسلام. ومعنى (اجتالتهم) استخفتهم، فجالوا معهم في الضلال.

وهذه الفطرةُ التي فطرَ الله عليها عبادَه لها صلةٌ وارتباطٌ وثيقٌ بالعهدِ الذي أخذه سبحانه وتعالى على بني آدم، وهم في عالم الذَّرِّ، كما أشار الله بقوله: **[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ *أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ]** الاعراف :172 . 173.

فهذا العهدُ والميثاقُ الذي أخذه الله جل جلاله على الناس، مضمونُه الاعترافُ والإقرارُ بربوبيته، وأشهدَهم على أنفسِهم فشهدوا، ومن رحمة الله بعباده أنه –تعالى ذكره–أرسل لهم الرسلَ، وأنزل معهم الكتبَ، ليذكّروا الناس بهذا الإشهاد. وهذا العهد والميثاق.

2–الدليل الحسي:

ويقصد به توجيه العقول إلى التأمل والنظر في آفاق الكون للاستدلال على وجود الله ويتكون من مجموعة من الأدلة أو الآيات الكونية المبثوثة ي الكون نذكر منها:

أ–آية الخلق:

يسمى عند الفلاسفة دليل الاختراع وعند المتكلمين دليل الحدوث، ويقوم على فكرة أن الكون حادث؛ أي مخلوق؛ أي وُجد بعد أن كان عدماً، لذا لا بدّ له من مُحْدِث؛ أي خالق، فكل الموجودات تتصف بالحدوث بعد العدم، وبالوجود من قبل سبب خارج عنه، هو الخالق الذي خلقه، وفي ذلك آيات كثيرة، قال تعالى: **[أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا]** وقال أيضا تعالى ذكره: **[ألم ترى كيف خلق الله سبع سموات طباقا]** نوح:15 . فهو دليل يقوم على أن الموجودات حادثة وكل محدث يحتاج إلى محدث.

ب–استجابة الدعاء:

من الأدلة الحسية على وجود الله استجابة الدعاء، إذ عادة ونشاهد من إجابة الداعين وغوث المكروبين،

ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى.

قال تعالى: [**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين**] الأنفال:9 " وتوجد الكثير من الأمثلة في القرآن الكريم لاستجابته تعالى لدعاء الأنبياء كقوله تعالى: [**وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**] الأنبياء: 76، [**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**] الأنبياء: 83.

ج–معجزات الأنبياء

أيّدَ الله تعالى أنبياءه الكرام بالعديد مِنَ الآيات تصديقا دعوتهم، وبُرهاناً قاطعا على وجود مرسلهم وهو الله سبحانه وتعالى فيها، ومن الأمثلة على ذلك:

معجزات النبي موسى عليه السّلام:

أيّدَ الله تعالى نبيّه موسى –عليه السلام– بِتِسعٍ مُعجزاتٍ واضِحات، لقوله –تعالى–: [**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**] الإسراء: 101، وكانت مِن جِنس ما اشتهر به قومه مِن السِحر، كالعصا التي تتحول إلى حيّةٍ كبيرةٍ بعد أن يُلقيَها على الأرض، لقوله –تعالى–: [**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**] طه: 17–21، وبعد أن ابتلعت الأفعى حيّات السَّحرة آمنوا جميعاً؛ لما أدركوه مِن إعجازِها وأنّها ليست مِن صُنع البَشر.

ومِنَ مُعجزاته أيضاً يَده البيضاء، فقد كانت تتلألأ كالقمر بعد أن يُدخلها في جيبه ثُمّ يُخرِجُها، لقوله – تعالى: [**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**] طه: 22

مُعجِزات النبي عيسى عليه السّلام:

أمدَّ الله تعالى نبيّه عيسى–عليه السلام– بِعَدَدٍ مِنَ المعجزات، وجاءَ ذِكرُ بَعضِها في قولهِ تعالى: [**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ**

إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] المائدة: 110.

مُعجِزات سيّدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام:

أيّدَ الله تعالى نبيّه مُحمدًا –عليه الصلاة والسلام–بِالكثير مِنَ المعجزات، منها ما هو مُشابِهٌ لِمُعجزات الأنبياءِ السابقين، ومنها ما هو خاصٌّ بِه، ومِن هذه المعجزات ما يأتي:

–اطّلاعه على بعض الغَيب الذي أخبره الله تعالى به، وهذا الغَيب قد يكون في زمنه أو بعده بِقليل، أو بِزمنٍ بعيد في آخِر الزمان؛ كإخباره بِهزيمة كِسرى الفُرس، وعُلوّ الروم عليهم، ووعده بِفتح فارس والمدائن، وكان ذلك في زمن عُمر بن الخطاب –رضي الله عنه–

–تأييده بِالمعجزات الحسّيّة، وهي كثيرةٌ، كالإسراءِ والمِعراج؛ لِتكونَ دليلاً على صِدقه، لِقوله تعالى: **[سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ]** الإسراء: 1 وَمِنَ المعجِزاتِ الحسّيّة أيضاً، خُروج الماء ونبعهِ مِن بين أصابِعِه في صُلح الحُديبيّة، وكذلك بركة الطعام وزيادته، واستجابة الله تعالى–لِدُعائه ρ ومعجزة انشقاق القمر له، لِقوله تعالى: **[اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ]** القمر:1 وذلك بعد أن طلب مِنه المشركون أن يُريهم آية ومعجزة.

3–الدليل العقلي:

وخلاصةُ هذا الدليل: أنَّ هذا الخلقَ بكلِّ ما فيه شاهدٌ على وجودِ خالقه العليِّ القدير سبحانه، قال تعالى: **[أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ *أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ]** الطور: 35–36 يقول لهم: أنتم موجودون، هذه حقيقةٌ لا تنكرونها، وكذلك السماواتُ والأرضُ موجودتان، وقد تقرّر في بداهةِ العقول أنَّ الموجودَ لا بدَّ من سببٍ لوجودِهِ. وهذا يدركُه راعي الإبل، فيقول: البعرةُ تدلُّ على البعيرِ، والأثرُ يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ، أفلا يدلُّ ذلك على العليمِ الخبيرِ.

4–الدليل الشرعي:

وأما دلالة الشرع على وجود الله فلأن كل الكتب السماوية وما جاءت به من الأحكام والشرائع العادلة المتضمنة لمصالح العباد دليل على أنها من عند رب حكيم عليم بأحوال خلقه وما يصلح لحياتهم، كما أن ائتلاف القرآن الكريم وعدم تناقضه وتصديق بعضه بعضًا كل ذلك يدل على أن القرآن نزل من عند الله، قال

تعالى : **[أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا]** النساء: 82.

ثانيا: منهج المتكلمين في إثبات وجود الله:

1-بطلان دليل الرجحان بلا مرجح:

ومعنى الرجحان بلا مرجح : أن يكون الشيء جاريا على نسق معين ثم يتغير عن نسقه ويتحول عنه بدون وجود أي مغير إطلاقاً، وذلك ككفتي الميزان المتساويتين، ترجح إحداهما على الأخرى بدون وجود سبب من الأسباب، فهذا من الأمور الواضحة البطلان، وجميع العقلاء يعلمون أن الأصل بقاء ما كان عليه، ولابد لتحوله عن الحالة السابقة من محول، ومؤثر يفرض عليه هذا الوضع، فالكون الذي نراه من نوع الممكن أي أن العقل يجيز وجوده وعدمه وكل ما كان هذا شأنه فلا بد له من مؤثر خارجي يرجح فيه جانب الوجود أو العدم، فلو افترضنا أنه وجد بذاته استلزم هذا الفرض رجحان الشيء بدون مرجح وهو باطل عند كل العقلاء، ومنه فإن تحول الكون من حال العدم إلى حال الوجود تم بفعل محول ومؤثر وفاعل هو الله سبحانه وتعالى[1] .

بطلان التسلسل:

2- ومعنى التسلسل: فرض أن المخلوقات كلها متوالدة عن بعض إلى مالا نهاية بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله علة لما بعده، دون أن تتصل هذا السلسلة أخيراً بعلة واجبة الوجود هي التي تضفي التأثير المتوالد على سائر الحلقات، فهذا الفرض باطل، إذ إن سلسلة المخلوقات الممكنة مهما طالت فإن استمرار طولها لا يخرجها من كونها ممكنة من الممكنات لا بد لرجحان الوجود على العدم فيها وبالعكس إلى مرجح[2].

3-بطلان الدور:

معناه أن يتوقف الشيء في وجوده المطلق على تكييف معين له على شيء آخر، بينما هذا الشيء الثاني متوقف على وجوده وتكيفه على الأول.

مثاله أن وجود البيض متوقف على وجود الدجاج، ثم نقول إن وجود الدجاج متوقف على وجود البيض، وفرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذاك إلا عن طريق الدور فإن من البديهي أن كلا الأمرين

[1]- محمد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دار الفكر، دمشق، 1982م، ص79-81

[2]-المرجع نفسه، ص81-85.

يظلان معدومان حتى يأتي مؤثر خارجي يفك طوق الدور[1].

ثالثا: توحيد الله:

توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة المرسلين، وهو أول ما يخاطب به الناس من أصول الدين، وهو سبب العصمة والأمن في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، وهو شرط لصحة وقبول سائر الطاعات، لقوله تعالى: **[وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]** الذاريات 56.

وقوله تعالى ذكره: **[قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]** آل عمران: 64.

ولقوله ρ لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: "يا معاذ: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم"[2].

والتوحيد يثمر الأمن العام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **[الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ]** الأنعام: 82.

وأما إنه سبب النجاة والفوز في الآخرة فلقوله تعالى: **[لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِي نَقَالُواْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيح يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَو مَأْوَىٰه ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ]** المائدة: 72

والإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده في ربوبيته وتوحيده في ألوهيته وتوحيده في أسمائه وصفاته، ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده بالربوبية والألوهية، وصفات الكمال وأسماء الجلال.

-تعريف التوحيد لغة واصطلاحا:

-التوحيد لغة: مشتق من الفعل (وحّد) ويدور حول معاني الوحدة والانفراد ونفي التعدد [(3)].

---

[1]-المرجع نفسه، ص86-88.

[2]-أخرجه البخاري(1425)، ومسلم(19).

[(3)] _ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص 450.

-ابن فارس، مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج6، ص 90.

-التوحيد شرعا:

أمَّا المعنى الشرعي للتوحيد فهو: إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

-توحيد الربوبية:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره. وبيانه أن الرب في اللغة هو المالك المدبر، وربوبية الله على خلقه تعني تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم، فتوحيد الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه وحده خالق الخلق، ومالكهم.

ويندرج تحت هذا التوحيد الإيمان بقدر الله، وهو الإيمان بأن كل محدث صادر عن علم الله وإرادته وقدرته [1].

وليعرفنا القرآن الكريم ربوبية الله، بين لنا مظاهر قدرته عز وجل وتفرده، فأخبرنا بأنه المتفرد في الخلق والمتفرد بالملك والتدبير لجميع الخلاق وأن الأمر كله يرجع إليه، وهو المتفرد بالرزق والنفع والضر والإحياء والإماتة، ومن تدبر الآيات تدلت له هذه الوحدانية [2].

-تفرده سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد، فهو خالق كل شيء، ولا يشاركه في الخلق أحد قط، لقوله عز وجل: **[اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ]** الزمر: 62

-فكما كان الخلق لله وحده فالملك لله وحده.

لقول الله عز وجل: **[الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا] الفرقان: 2**

-تفرد الله في الرزق والعطاء، لقوله عز وجل: **[وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]** العنكبوت: 60

-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، الدار الشامية، دمشق، 1412هـ، ص 530.

[1] _ المصدر نفسه، ص 124-126.

[2] _ أنظر: سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط15، دار الشروق، 1423هـ-2002م، القاهرة، ص 219-221.

-تفرد الله سبحانه تعالى في التدبير والتصريف، لقوله عز وجل: **[وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ]** الروم: 26-25

-تفرد الله سبحانه وتعالى في القهر والسلطان **[وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ]** الأنعام: 61

وأما الذين يقرون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء، ولا يوحدونه في ألوهيته فيشركون معه غيره في عبادته، فإن هذا التوحيد لا ينفعهم، ولا يخرجهم من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان، فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وظلوا مع ذلك مشركين لأنهم لم يوحدوا الله في ألوهيته، فعبدوا غيره سبحانه، ولذلك قال عنهم الله عز وجل: **[وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ]** يوسف: 106، قال مجاهد في تفسير هذه الآية: "لإيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"[1].

التعريف بألوهية الله:

الألوهية لغة: مشتقة من (أله) ويطلق على معان عدة، منها [2]:

بمعنى يلتجأ إليه: أي أن الخلق يولهون إليه في حوائجهم وفيما يصيبهم.

الثاني: يفزع إليه: ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم.

والثالث: تحير: وآله يأله ألها، أي تحير.

والرابع: المعبود [3].

ومعنى توحيد الألوهية: هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المستحق للعبادة وحده دون سواه [4].

---

[1]- الطبري، تفسير الطبري، مصدر سابق،ج16، ص287.

[2] _ ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص 467-471.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص: 11137.

[3] _ الراغب، المفردات، مصدر سابق، ص 21.

[4] _ ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ط9، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م، ص 41.

ويتضمن هذا النوع من التوحيد جميع أنواع التوحيد، لذا فمن أقرب وحدانيته عز وجل، وأنه هو المستحق للعبادة وحده دون غيره، فإنه يلزم إقراره بأن هذا الإله هو رب العالمين، له الأسماء الحسنى والمتصف بكل صفات الكمال [1].

ولقد تلخصت دعوة القرآن في التوحيد، بأن كل ما قيل عن ذات الله عز وجل وصفاته إنما هو تفصيل وشرح لثلاثة عناصر رئيسية هي: تصور الألوهية، ونفي الألوهية عن كل موجودات العالم، وإثبات الألوهية وحده [2]. فالآلهة التي اتخذها المشركون لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، حتى تعود بالنفع والضر عليهم، كما في قوله عز وجل: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**] سورة الحج: 72-73

يقول ابن تيمية: "وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين"

ومن أجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، فما من رسول أرسله الله إلى العباد إلا وكان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها، قال تعالى: [**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ**] النحل: 36

وأخبر عز وجل عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب أنهم جميعا كانوا يقولون لأقوامهم: [**ٱعْبُدُواْٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ**] الأعراف:65

كما أخبر تعالى ذكره عن إبراهيم –عليه السلام–أنه قال لقومه: [**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**] **الأنعام: 79**

توحيد الأسماء والصفات:

ومعنى توحيد الأسماء والصفات: هو الاعتقاد الجازم بأن الله متصف بجميع صفات الكمال ومتفرد بها عن جميع الخلف، كما أنه منزه عن الآفات وصفات النقص [3].

---

[1] _ ج محمد نعيم ياسين، الإيمان، الطبعة 4، مكتبة الرسالة، عمان 1405، 1975م، ص 9.

[2] _ أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية–أسسها ومبادؤها –، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970م، ص 137.

[3] _ محمد نعيم، الإيمان، مرجع سابق، ص 27.

ثم إننا نؤمن بصفات الله من غير سؤال عن كيفيتها، ولا بحث عن كنهها، والأصل في تحري فهم صفات الله ما أقره الإمام الطحاوي بقوله: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس بمعناه أحد من البرية، تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات".

و«الاقتصار على أثبته الله من الأسماء والصفات، فلا يوصف إلا بما وصف نفسه ولا نسميه إلا بما سمى به نفسه» [1]. فهي توفيقية أي موقوفة على إذن الشرع، ونص على هذا القول العلامة البيجوري في الشرح بقوله: «واختار جمهور أهل السنة أن أسماء الله توفيقية وكذا صفاته، فلا تثبت لله اسما ولا صفة إلا إذا ورد بذلك توفيق من الشارع» [2].

وروى في الشيخان أن النبي ρ قال: «إن لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة» [3]. أما توقيف أسماء الله، فلا يعني حصرها وحدها، كما جاء في الحديث السابق، فقال المبار كفوري في شرح حديث الأسماء: «واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه، فليس معناه أنه ليس له إلا هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء» [4].

ولهذا جاء في الحديث لآخر الذي يرويه الحاكم عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: «ثم ما أصاب مسلما قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبد وابن أمتك ناصيتي في يدك ماض في حكمك عدل في قضاءك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من

---

[1] _ محمد نعيم، الإيمان، مرجع سابق، ص 29.

[2] _ البيجوري، تحفة المريد، مصدر سابق، ص 102.

الفخر الرازين لوامع البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات، راجعه طه عبد الرؤوف، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1404هـ، 1984، ص 42-43.

[3] _ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص 2062، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفصل من أحصاها، رقم الحديث 2677.

البخاري، صحيح البخاري، مصدر سابق، ج2، ص 981، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنايا في الإقرار والشروط، رقم الحديث 2575.

[4] _ النووي، شرح صحيح مسلم، مصدر سابق، ج17، ص6.

محمد عبد الرحمن المبار كفوري، تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج9، ص 337.

خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي إلا اذهب همه وأبدله مكان حزنه فرحا» [1].

ثم تبين من هذا الحديث أن أسماء الله لا حصر لها ولا حد لها، وأن أسماءه ذات أقسام، أما المعلوم لنا قسم واحد منها، هو قسم انزله الله في كتابه وعرفه عباده، والآخران هما: قسم سمى الله به نفسه فأظهره لمن شاء من خلقه ولم ينزله في كتاب، وقيم استأثر به في علم الغيب عنده ولم يطلع عليه أحد من خلقه [2].

---

[1] _ محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم ت (405هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ، 1990م، ج1، ص 690، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم أن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى رجال أبى سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.

-علي بن أبي بكر الهيثمي ت (807هـ) مجمع الزوائد، دار الريان، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، 1407هـ، ج10، ص 136، باب ما يقول إذا أصابه هم .

[2] _ ابن القيم، أسماء الله الحسنى، تحقيق يوسف بدوي وأيمن الشواء ط1، دار ابن كثير ، دمشق، 1418هـ، 1197م، ص81.

المحاضرة: السابعة:

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

1-التعريف بالملائكة

الإيمان بالنبوات أصل من أصول الاعتقاد، ويأتي الإيمان بالملائكة، الذين منهم رسل الله إلى أنبيائه، وهؤلاء الأنبياء هم رسل الله إلى الناس، ثم الكتب السماوية وهي وحي الله التي بلغها الوحي إلى الرسول ليبلغها إلى الناس، لذا كان من الواجب تقديم الحديث عن الملائكة؛ وذلك لأن الله قدم ذكرهم عند ذكر الإيمان بالرسل، كذلك فإن الملائكة هم الواسطة بين الله والرسول في تبليغ الوحي والشريعة، لذا كان الحديث عنهم مقدما على الرسول[1] .

-الملائكة في اللغة: جمع مَلأَك، لكن نُقِلتْ حركة الهمزة إلى اللام الساكنة قبله، ثم حُذِفت الهمزة تخفيفًا فصارت ملاكًا، وهو مشتقٌّ من الألوكة التي هي الرسالة، **والجمع** :ملائك، وملائكة.

والملك في اللغة: حامل الأَلوكة وهي الرسالة، فإنَّ الملائكة عليهم السلام رُسُلُ الله تعالى يتلقَّون رسالاته وينفذون ما كُلِّفُوا به منها، ويُبلِّغون ما حُمِّلوا منها إلى غيرهم؛ قال تعالى: [**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] فاطر: 1

اصطلاحا: قال جمهور أهلا الكلام: «الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات» [2].

والملائكة هم رسُل الله تعالى في تنفيذ أمره الكوني- الذي يُوحِيه إليهم -في ملكوته، وسُفَراؤه إلى أنبيائه ورسله من البشر في تبليغ وحيه الشرعي ورسالاته؛ قال تعالى: [**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**] لحج: 75

---

[1] _الفخر الرازي، التفسير الكبير، مصدر سابق، ج2، ص 283.

[2] _ الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص 296.

أما الإيمان بالملائكة فهو الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها [1].

ودليل الإيمان بالملائكة قول الله سبحانه وتعالى: [**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**] البقرة: 285

2-صفات الملائكة:

وقد عرفنا القرآن الكريم طرفا من حقيقتهم، فأعلمنا بعضهم وأخبرنا بعضها من صفاتهم، منها:

أ-أن الملائكة مخلوقات نورانية، خلقها الله من نور.

قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- «ثم خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[2].

ب- أن الملائكة قادرة على التشكل والظهور بالصور الجسمانية والإنسانية:

قال الله تعالى: [**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا**] مريم :16-19.

ج-أن الملائكة لهم قدرات خارقة، منها أن منهم من يحمل عرش الله.

قوله تعالى:[**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**] الحاقة: 16-17.

-من صفات الملائكة الطاعة لله، والامتثال لأمره.

قوله عز وجل:[**لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**]ة الأنبياء: 19-20.

-من صفاتهم الخوف من الله، وهم على عبادة الله مقيمون.

---

[1] _ محمد نعيم، الإيمان، مرجع سابق، ص 47.

[2] _ مسلم، صحيح مسلم، مصدر سابق، ج4، ص 2294، كتاب باب في أحاديث متفرقة، عن عائشة، رقم الحديث 2996.

قوله عز وجل: [**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ**] الرعد: 13

–من صفاتهم أن منهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، أو أكثر من ذلك.

[**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] فاطر: 1.

3–أعمال ووظائف الملائكة:

معرفة أعمال ووظائف الملائكة متوقفعلى ورود الدليل السمعي من القرآن والسنة الصحيحة، ومن الأعمال التي كلف بها الملائكة كما جاء في القرآن الكريم:

–المكلفون بتسبيح الله وتعظيمه والسجود له، قال تعالى: [**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**] النحل: 49.

–المأمورون بالاستغفار، قال تعالى ذكره [**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ**] الشورى: 5.

–واتخذ الله من الملائكة رسلا مكلفين بنقل الوحي، فقال تعالى: [**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**] الحج: 75.

وقال عز وجل: [**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**] النحل: 2.

–وكلف الله ملائكته بالاتصال بالصالحين من عباده سواء لتبشيرهم بنعمة من نعمة وفضل من أفضاله أو تطمينهم في وقت الشدة والحاجة في سياق الحديث عن مريم قال تعالى: [**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**] آل عمران: 42.

وقال تعالى في شأن تطمين الصالحين: [**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**] فصلت: 30.

–وتتدخل الملائكة بأمر من الله لنصرة المؤمنين المجاهدين في سبيل الله كما حدث في غزوة بدر، قال تعالى: [**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن**

يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ] آل عمران: 123-124.

-وكلف الله الملائكة بالتسجيل عن المكلفين من الإنس والجن أعمالهم في الدنيا والشهادة لهم أو عليهم في الآخرة: لقوله جل وعلا: **[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ]** الانفطار: 10-11.

وقال أيضا: **[لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا]** النساء: 166.

-وخصص بعض الملائكة بقبض الأرواح حين يحين أجل أصحابها المقدر من الله، قال جل ذكره: **[إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ]** النساء: 97.

وقال تعالى ذكره: **[وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ]** الأنفال: 50.

-ويوم القيامة، وبعد الحساب يتولى الملائكة أهل الجنة وخدمتهم، في مقابل التنكيل بأهل النار وتعذيبهم.

قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ]** الأنبياء: 101-103

وقال تعالى: **[جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ]** الرعد: 23.

وفي الجانب الثاني: يقول تعالى: **[وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ]** الزمر: 71-72.

4-ثمرات الإيمان بالملائكة:

أ-الإيمان بالملائكة يقوي الشعور لدى المؤمن بعظمة الله عز وجل وقدرته:

فالملائكةُ كما اتضح من صفاتهم ووظائفهم خلقٌ عظيمٌ في القدرةِ عظيمٌ في السرعةِ عظيمٌ في الطاعةِ عظيم في الخلق، وهذه العظمةُ تعكِسُ عظمةَ الباري سبحانه وقدرته، فهو الله الواحد الأحد بديعُ السماوات والأرض.

ب-الشعور بالأمن والطمأنينة:

وذلك أنّ الإنسانَ إذا عرف أنّ الله تعالى قد وكّل به ملائكةً يحفظونه أطمأنّت نفسُه وسكن قلبه وعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: [**لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ**] الرعد : 11

فهذه ملائكة تحفظ الإنسان من الشرور بأمر الله سبحانه، حتى إذا جاء القدر خلو عنه، وقال سبحانه [**وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**] الأنعام:61.

ج-الإقبال على فعل الطاعات:

الإيمان بالملائكة يدفع الإنسان إلى التشبه بهم في الإقدام على الطاعات والابتعاد عن فعل المعاصي فحينما يعلم الإنسان أنّ الملائكةَ يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يحمله ذلك التشبه بهم والسير على نهجهم، فتقوى بذلك روحه المعنوية ويتدّرجُ في مدارج الكمال، وقد نبّه الإمام الغزالي إلى هذا المعنى في بيانه لأسرارِ العبادات ففي بيانه لأسرارِ الصوم قال: " إنّ المقصودَ به الاقتداء بالملائكة في الكفِّ عن الشهوات بحسب الإمكان فإنّهم منزهون عن الشهوات وكلّما قمعَ الإنسان الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحقَ بأُفق الملائكة والملائكة مقرّبون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبّه بأخلاقهم يَقْرُبُ من الله عز وجل كقربهم فإنَّ الشبيه من الشبيه قريبُ "

وفي بيانه لأسرار الحج يقول: "واعلم أنكَ بالطوافِ متشبّهٌ بالملائكة الحافّين حول العرش الطائفين

حوله".

د–الإيمان بالملائكة يدفع المؤمن للقيام بصالح الأعمال: ومن الأعمالِ التي يكونُ للإيمانِ بالملائكةِ دورٌ في أدائها والمحافظةِ عليها.

–طَلَبُ العلمِ يقولُ النبيُ –عليه الصلاة والسلام –" إن الملائكة لتضعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رضًا لما يطلبُ".

–التبكير يوم الجمعة إلى المسجد يقول عليه الصلاة والسلام: " إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الأوَّل فالأول فإذا خرجَ الإمامُ طويتْ الصُحُف واستمعُوا الخطب ".

–حضور مجالس الذكر يقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: " وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتاب الله ويتدارسونهُ بينهمْ إلا نزلت عليهمُ السكينةُ وغشيتْهمُ الرحمةُ وحفتهم الملائكةُ وذكرهمُ اللهُ فيمنْ عندَه "، فالإيمان بالملائكة يعد من البواعث النفسية التي تهيء الإنسان لفعل العمل الصالح.

هـ–الخوف والخشية من الله: فإذا آمن الإنسانُ بأنّ الملائكة تلحظه في كل أوقاته، تسجل جميع أعماله، وأنهم يتعقبونه في صحوه وغفلته وفي سفره وحضره يدفعه ذلك إلى الخوف من الله والابتعاد عن فعل المعاصي.

المحاضرة الثامنة:

الركن الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

معنى الكتاب لغة: مشتق من (كُتب)، وهو الضم، ثم استعمل بضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط واللفظ، ومنه سمي الكتاب [1].

–الإيمان بالكتب: هو التصديق الجازم بكتب الله المنزلة على الرسل، والاعتقاد بأنها وحي من الله عز وجل للأقوام الذين أرسل الله إليهم الرسل الذين بعثوا بها[2]، والإيمان بالكتب السماوية يتضمن الإيمان بالقرآن واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب[3]،قال تعالى: **[وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]**.

وقال أيضا: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا]**.

والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بكل الكتب السماوية التي أنزلها الله على الأنبياء والرسل سواء سماها الله وذكرها في القرآن، أو لم يذكرها، حيث يقول تعالى: **[النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه]** البقرة: 213، ويقول سبحانه: **[فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ]** آل عمران: 184.

والكتب التي أخبرنا بها الله تعالى في القرآن هي:

1–التوراة التي نزلت على موسى –عليه السلام–، حيث قال تعالى: **[وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ]**

---

[1]_ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج3، ص 216–217. الراغب، المفردات، مصدر سابق، ص 425.

[2]_البوطي، كبرى اليقنيات، مرجع سابق، ص 214.

[3]_ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص 350.

الأعراف: 145

ويقول سبحانه وتعالى: [**إنا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ**]المائدة: 44

2–والإنجيل الذي نزل على سيدنا عيسى –عليه السلام–، حيث قال سبحانه: [**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**]المائدة: 46

3–والزبور الذي أنزل على داود–عليه السلام–، قال تعالى: [**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**]الإسراء: 55

4–والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى–عليهما السلام، التي أخبر عنها تعالى بقوله: [**إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ**] الأعلى: 18–19ويقول سبحانه: [**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**] النجم: 36–37.

5–القرآن الكريم: وهو آخر الكتب السماوية، أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ρ، قال تعالى: [**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِين نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**]. وتعهد سبحانه وتعالى بحفظه فقال تعالى: [**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**] الحجر: 9

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل، فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها، وإنما أخبرنا سبحانه وتعالى أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه، فقال: [**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيه**] البقرة:213

كما يجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر وصنعهم، قال تعالى عن التوراة: [**إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُور**] **المائدة: 44**

"وقال تعالى عن الإنجيل: [**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**] **المائدة: 46**

وظيفة الكتب السماوية:

1–هداية الإنسان: فالكتب السماوية هي وحي الله يهدي بها عباده ويرشدهم إلى ما تصلح به أمورهم وتقوم عليه سعادتهم في الدنيا والآخرة، لقوله عز وجل: [**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**] البقرة: 2

ومن صور الهداية التي عبر عنها القرآن، بأنه يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

في قوله عز وجل: [**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**] ابراهيم: 1

2–تصديق دعوة الرسل، فالكتاب بيان صدق الرسل والأنبياء في دعواهم لأقوامهم لقوله عز وجل: [**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ**] آل عمران: 3

وفي قوله تعالى:[**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**] الأنعام: 92

3–التفصيل والبيان: قوله عز وجل: [**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**] الأعراف: 52

قوله تعالى ذكره: [**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**] النحل: 89

وقوله الحق: [**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**] الأنعام: 114

4–للحكم والعدل:

في قوله عز وجل: [**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**] **الحديد: 25**

المحاضرة التاسعة:

الركن الرابع: الإيمان بالرسل

1- معنى النبوة والرسالة:

جاء في النصوص الدينية إطلاق كلمات النبي والرسول والنبوة والرسالة على حقائق شرعية وفق الاصطلاح الشرعي.[1]

أ-النبوة:

-في اللغة: مأخوذة من النبأ، أي الخبر. قال تعالى: **[عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ]**، أو من النبوة، وهي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع.

-وفي الاصطلاح الشرعي: اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه.

[إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ] آل عمران: 33

[قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ] النمل: 59

[ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيع بَصِيرٌ] الحج: 75

هذه الآيات تدل على أن النبوة في القرآن هي اصطفاء واختيار وهبة من الله تعالى يختص بها من يشاء من عباده، ولا تخضع لكسب الإنسان كما ذهب إليه الفلاسفة. يقول الراغب الأصفهاني: "إن النبوة سفارة بين الله وبين ذوي الألباب لإزالة عللهم فيما يحتجون من مصالح الدارين وهذا حد كامل جامع بين المقصود من النبوة وهو السفارة المخصوصة وبين منتهاها وهو إزاحة عللهم"[2]

---

[1]-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج2، ص27.

-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مج6، 562.

-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق،ج5، 385.

[2]-الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، تحقيق: شمران العجلي، ط1، مؤسسة الأشراف، بيروت، 1988م، ص19.

ويقول البيجوري: "إن النبوة هي اختصاص العبد بسماع الوحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا، وهكذا الرسالة بشرط أن يؤمر بالتبليغ"[1]

والنبي في الاصطلاح: هو إنسان اختاره الله وخصّه بتبليغ الوحي إلى قومه.

ب–الرسالة:

الْإرسالُ في اللّغة: التَّوْجيه بأمر ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أو يقوم بما أمره به مرسله.

وفي الاصطلاح الشرعي: تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته.

والإيمان بالرسل عليهم السلام واجب، ولا ينكر أحد نبوتهم، ومن أنكر نبوة واحد منهم، أو أنكر رسالة من بعث منهم برسالة فقد كفر، وقد وهبهم الله صفات العصمة والصدق والأمانة والتبليغ[2]

2–الْفَرْقُ بين الرَّسول والنبي

ذكر الإمام الماوردي أن العلماء اختلفوا في الأنبياء والرسل على قولين:[3]

القول الأول: أن الأنبياء والرسل واحد فالنبي رسول والرسول نبي، والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من النبأ (وهو مذهب جمهور المعتزلة).

القول الثاني: أما من فرق بين النبي والرسول فقد اعتمد على الآية **الكريمة [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ] الحج: 52**، فدلت الآية على أن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات، وذكروا في الفرق بينهما عدة فروق منها:

1–أن الرسول يأتيه الوحي من الوجوه كلها والنبي هو من له الوحي المنامي والإلهامي فقط.

2–الرسول هو الذي يأتي بالشرائع والأحكام، والنبي هو الذي يحفظ شريعة من قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين بعثوا لتصحيح شريعة موسى –عليه السلام–

---

[1]–إبراهيم البيجوري، شرح جوهرة التوحيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1903م، ص287.

[2]–البيجوري، مصدر سابق، ص123.

[3]–الماوردي، أعلام النبوة، تحقيق: الشيخ خالد عبد الرحمان العك، ط4، دار النفائس، 1994م، ص93.

3-القرآن الكريم وصف بعض الأنبياء بالنُّبوة والرِّسالة، وهذا دليلٌ على أنَّ الرِّسالةَ أمرٌ زائدٌ على النّبوة، كقوله -تعالى-في حقِّ سيدنا موسى -عليه السلام-: [**وَاذكُر فِي الكِتابِ موسى إِنَّهُ كانَ مُخلَصًا وَكانَ رَسولًا نَبِيًّا**] مريم: 51، وعلى ذلك: كلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسول.

3-عدد الأنبياء والرسل عليهم السلام:

ذكر القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيا ورسولا بأسمائهم، أما عددهم فهم أكثر من ذلك، قال تعالى: [**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**] النساء: 164 وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد -صلوات الله عليهم جميعاً-.

وجاء ذكر أسماء الأنبياء والرسل في مواضِعَ مُتَفَرِّقة، فذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: [**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنٰهَا إِبْرٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجٰتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهٰرُونَ ۚ وَكَذٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصّٰلِحِينَ وَإِسْمٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعٰلَمِينَ**] الأنعام: 83-84-85-86

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن الكريم، قال الله تعالى:

[**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ**] هود: 50

[**وإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ**] الأعراف: 65

[**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صٰلِحًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥ**] هود: 61

[**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صٰلِحًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰه غَيْرُهُۥ**] **الأعراف: 73**

[**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥ**] **هود: 84**

[**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُۥ**]**الأعراف: 85.**

[إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرٰنَ عَلَى ٱلْعٰلَمِينَ" آل عمران: 33

"وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ] الأنبياء: 85

[مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِين مَعَهُۥٓ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] الفتح: 29

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم تفصيلا، وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصصهم القرآن علينا، فقد أمرنا أن نؤمن بهم إجمالا. وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته مادام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل، ولم يخبرنا به رسول الله ρ.[1]

4-أولو العزم[2] من الرسل:

أولو العزم من الرسل كما ذكر كثير من العلماء خمسة هم: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وعيسى عليهم أفضل الصلاة والسلام، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: **[وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا]** الأحزاب:7

5-الشروط الشرعية للنبي والرسول:

استنبط علماء العقيدة مجموعة من الشروط التي ينبغي توفرها في النبي والرسول وهي:

أ-البشرية: فليس هناك رسول من الجن أو الملائكة، لقوله تعالى: **[وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ]** الأنعام: 9، وقال تعالى: **[قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا]** الكهف: 110، وقوله الحق: **[قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ]** ابراهيم: 11.

ب-الحرية: لأن العبودية من النقائص التي تقدح في شخصية الرسول، وتجعله عرضة للسخرية من قبل الكفار، كما أنها قيدٌ لا يتّفق مع المهمة التي أرسل الرسول من أجلها.

---

[1]-محمد نعيم ياسين، الإيمان: مرجع ساب، ص29.

[2]-أصل العزم في الأمر: هو الصبر والجد والثبات، وتحقيق القصد طوعا أو كرها أنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، ج2، ص91، وابن منظور، لسان العرب، ج12، ص399، الهروي، منازل السائرين، ج1، ص65. وقد ورد في القرآن الكريم الإشارة إلى أن من أهم خصال أولي العزم الصبر وتقوى الله، قال الله تعالى:**[وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ]** آل عمران: 186، وقال تعالى ذكره: **[فَاصْبِرْ كما صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ]** الأحقاف: 35، وقال جل وعلا: **[وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا]** طه: 115:

ج–الذكورة: لأن طبيعة المرأة لا تصلح لهذه المهمة فالنبوة خاصة بالرجال، قال تعالى: **"مَا أَرْسَلْنَا [[قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُواْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]** الأنبياء: 7، وقال تعالى: **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ]** النحل:43

د–السلامة من المنفر: حتى لا يبتعد الناس عنه ويتفرقون، سواء كان هذا المنفر مرضا معديا أو خَلقيا أو خُلقيا بأن يكون متصفا بمرذول الصفات أو الفظاظة، قال تعالى: **[فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ]** آل عمران:159

وقال الله تعالى: **[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]** الأحزاب:21

هـ–الصدق

الصدق هو "مطابقة الكلام للواقع، فالرسل صادقون فيما أخبروا به عن الله، لأن الله سبحانه أيدهم بالمعجزات، فلو لم يكونوا صادقين للزم عدم تأييد الله عز وجل إياهم بالمعجزات"[1].

ولقد وصف الله تعالى أنبياءه بالصدق على سبيل التعيين أو الإجمال في العديد من الآيات في كتابه العزيز، كقوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: **[وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا]** مريم: 54.

وقوله عن موسى عليه السلام: **[حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ]** الاعراف: 105.

وقوله عن يوسف عليه السلام: **[يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ]** يوسف: 46

وقوله في حقّ نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم–**[وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ]** الاحزاب: 22.

وقوله في حقه أيضاً: **[فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ]** الزمر: 32 . 33

و–الأمانة:

[1]–البيجوري، جوهرة التوحيد، مصدر سابق، ص71.

هي صفة ملازمة لصفة الصدق، وتشمل هذه الصفة الكثير من الفضائل: كالمحافظة على حقوق الناس وتبليغ الدين **[يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَا أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ] المائدة: 67**

ز–الفطنة:

وهي التفطن، والتيقظ، الذكاء، لإلزام الخصوم ونقض دعاويهم الباطلة، وذلك لأن الرسول له مهمة علمية، ومهمة تربوية، ومهمة قيادية وسياسية، تستدعي التحقق بهذه الصفة، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل على اتصاف الرسل بصفة الفطنة والذكاء وقوة الحجة، قال تعالى:

[قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ] هود: 32

[أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ] البقرة: 258

[ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ] النحل: 125

ز–العصمة:

هي حفظ الله أنبيائه ورسله من النقائص، وتنزيههمعن الوقوع في المعاصي، فقد عصم الله تعالى أنبيائه عن أية نقيصة تقدح في دينهم وطاعتهم لله عز وجل، قال تعالى: **[ٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ]** المائدة: 67،وقال تعلى ذكره:**[أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ]** الأنعام: 89–90

– الحِكمة من إرسال الأنبياء والرُّسُل:

أَرْسل الله –عز وجل–الرُّسل والأنبياء لحِكَمٍ كثيرة، منها:

–هداية البشر إلى معرفة الخالق وتوحيده:

إن الفطرة البشرية بذاتها تعرف وجود الخالق وتتجه إليه بالعبادة. ولكنها كثيرا ما تضل، فتتصور الخالق على غير حقيقته وتشرك معه آلهة أخرى. ومن ثم يرسل الله الرسل ليعرّفوا البشر بحقيقة خالقهم وينفوا من عقولهم ونفوسهم التصورات الباطلة عن الله سبحانه وتعالى وما يترتب عليها من انحرافات في الفكر والسلوك، وليعالجوا بصفة خاصة قضية الشرك، وهي أشد ما يتعرض له البشر من انحراف في تصورهم للخالق وسلوكهم نحوه. يقول الرسل لأقوامهم: "

[ٱعْبُدُواٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ] هود: 84، **[وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَاإِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدُونِ] الأنبياء: 25،**

-إقامة الحُجَّة على الناس:

أرسل الله -تعالى-الرّسل لِيُقيم الحجَّة على الناس؛ حتى لا يأتوا يوم القيامة فيخاصموا الله على أنَّه لم يرسل لهم أحداً يُعرِّفهم به، قال الله تعلى: **[وَلَو أَنّا أَهلَكناهُم بِعَذابٍ مِن قَبلِهِ لَقالوا رَبَّنا لَولا أَرسَلتَ إِلَينا رَسولًا فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِن قَبلِ أَن نَذِلَّ وَنَخزى] طه: 134.**

ويوم القيامة يأتي الله -تعالى- بكلّ رسولٍ أمام قومه لِيُقيم عليهم الحُجَّة، ويُشهد أنَّه بلّغهم رسالة: **[وَيَومَ نَبعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيدًا عَلَيهِم مِن أَنفُسِهِم وَجِئنا بِكَ شَهيدًا عَلى هؤُلاءِ]** النحل: 89 وعندها يضطرّ هؤلاء المكذّبين إلى الاعتراف بذنبهم، خاصّةً وهم يُساقون إلى المصير الرهيب، ويَسألهم الملائكةُ عن الرسل التي أُرسلت إليهم، فلا يستطيعون الإنكار لا سيما عندما يُلقَون في النّار ويُحيط بهم العذاب من كلِّ مكان، قال تعالى ذكره: **[قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ]** غافر: 50.

القدوة الحسنة:

إنَّ من مهمّات الرسل ضرب المثل للناس في امتثال أوامر الله -تعالى-واجتناب نواهيه، فيكونوا قدوةً وأسوةً حسنةً لهم، ويمكن إصلاحهم من خلال ذلك، قال الله -تعالى-: **[لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا]** الأحزاب: 21.

وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى القدوة التي ينبغي إتباعها وذلك في قوله تعالى: **[قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"] آل عمران:31.

المحاضرة العاشرة:

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

1-الأيمان باليوم الآخر:

هو اليقين الجازم بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه، وأخبر به رسوله ρ مما يكون عند الموت، من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والصراط والشفاعة، والجنة والنار وما أعد الله تعالى لأهلهما[1].

ومن الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر قوله تعالى:

[أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ] المؤمنون:115.

[ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ] الأنعام:62.

[كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] البقرة: 28

2-سبب تسميته باليوم الآخر:

اختلف العلماء في سبب إطلاق هذه التسمية فقال بعضهم: سمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، وقيل سمي بذلك لتأخره عن الدنيا، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم

قال الطبري: فكذلك الدار الآخرة سميت آخرة، لتقدم الدار الأولى أمامها، فصارت التالية لها آخرة. وقد يجوز أن تكون سميت آخرة لتأخرها عن الخلق، كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق" [2]

واختلف العلماء في نهاية اليوم الآخر بعد اتفاقهم على بدايته والتي تبدأ من النفخة الثانية وهي نفخة البعث التي يقوم فيها الناس لرب العالمين، بعد النفخة الأولى التي تنتهي عندها الحياة، لقوله تعالى:**[إِنَّ يَوْمَ**

---

[1]-حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط4، دار الفكر، دمشق، 1430هـ-2009م، ص543.

[2]-الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق، ج1، ص245.

الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا] النبأ: 17، أي ميقاتا "للبعث الذي هم فيه مختلفون"، قال البيضاوي: "أن يوم الفصل كان في علم الله، أو في حكمه ميقاتا، حدا تؤقت به الدنيا وتنتهي عنده"[1].

3-أسماء اليوم الآخر:

واليوم الآخر أسم من أسماء يوم القيامة، وهي كثيرة وقد تتبعها العلماء وسردوها وبينوا معانيها في مصنفاتهم، كالغزالي في الإحياء، وابن ثير في البداية والنهاية، وابن العربي في سراج المريدين، وغيرهم كثيرون.

قال الغزالي: "وقد وصف الله بعض دواهيها، وأكثر من أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرار الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كل اسم من أسماء يوم القيامة سر، وفي كل نعت من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها"[2]

وقال القرطبي: "ولعظمها أكثر الناس السؤال عنها...وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكذا أسماؤه. وهذا جميع كلام العرب...فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة"[3].

وعن أهمية اليوم الآخر، يقول السيوطي: " اعلم أن الله تعالى، سمى يوم القيامة في كتابه العزيز بأسماء كثيرة، نحو مائة اسم منها ما هو في القرآن بلفظه، ومنها ما أخذ بطريق الاشتقاق، وكثرة الأسماء دالة على عظم المسمى"[4].

وأشهر هذه الأسماء ما يلي:

– يوم القيامة: ورد هذا الاسم في سبعين آية من آيات كتاب الله، قال تعالى: **[اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ]** النساء: 87.

– اليوم الآخر: قال تعالى: **[وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ]**

---

[1]-البيضاوي، أنوار التنزيل، مصدر سابق، ج5، ص279.

[2]-الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج4، ص516.

[3]-القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، ط1، مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1425هـ، ص243.

[4]-السيوطي، البدور السافرة في أحوال الآخرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ-1996م، ص71.

البقرة: 177، وأحياناً يسميه بالآخرة أو الدار الآخرة، قال تعالى: [**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ**] النساء:74، **وقال تعالى: [الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ**] القصص: 73.

– الساعة: قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**] الحج: 1.

– يوم البعث: قال تعالى: [**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ**] الحج: 5

– **يوم الخروج:** قال تعالى: [**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**] ق:42.

– القارعة: قال تعالى: [**الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ**] سورة القارعة: 1-3، وغيرها من الأسماء كالصاخة، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم الحسرة، ويوم الخلود، ويوم الحساب، ويوم الوعيد، ويوم الجمع، ويوم التلاق، ويوم التناد، ويوم التلاق، ويوم التغابن، والآزفة، والحاقة، والصاخة، والواقعة، والغاشية.

5–موعد قيام الساعة:

موعد قيام الساعة والوقت الذي تكون فيه، هو من الغيب الذي استأثر به الله لنفسه تعالى، وقد أخفاه عن عباده لحكمة يعلمها، فلا سبيل إلى معرفته. الناس بما فيهم الأنبياء والرسل، قال تعالى: **[ويسألونك....]** الأعراف: 187.

وقوله تعالى: [متى ....] الملك: 25-26.

وحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما سأله جبريل: "متى الساعة؟ " حيث أجابه: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"

4–قرب الساعة: لكن الله تعالى أبان أنها قريبة، فقال: "اقتربت .." القمر45

وقال تعالى: "يسئلك....."الأحزاب: 33

وقد بين هذا القرب في قوله ρ "بعثت أنا .... أي كزيادة طول الأصبع الوسطى على السبابة وفي هذا إشارة إلى نسبة ما بقي من عمر الدنيا بالنظر إلى ما انصرم منها، وذلك على وجه التقريب.

5–أمارات الساعة:

أي علامات قربها ودنو ميعادها. وقد جاء التعبير عنها أيضا بأشراط الساعة، وتتضمن هذه الأمارات مجموعة من أنباء الغيب التي ستحدث قبيل قيام الساعة، وقد جاء التصريح بجملة من أنباء الغيب هذه في القرآن والسنة، وتنقسم إلى قسمين:

أ-أشراط الساعة الصغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد وقد ظهر منها الكثير، وهي أمارات كثيرة منثورة في كتب الحديث، منها:

الحديث الأول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"بعثت أنا والساعة كهاتين"، "وضم السبابة والوسطى" [1].

الحديث الثاني: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة" قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: "إذا أسند الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة" [2]

الحديث الثالث: عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا" [3].

وغيرها من الأمارات التي أخبر عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-كتقارب الزمان، **و**كثرة موت الفجاءة، كثرة الزلازل، وصدق رؤيا المؤمن".

ب-أشراط الكبرى: وهي الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع، كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

وذكر مسلم في صحيحه عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي -صلى الله عليه وسلم-علينا ونحن نتذاكر. فقال ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة قال: "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر

---

[1]- صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (18/ 89-90).

[2]-صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة (11/ 333)

[3]-صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، (1/ 178)، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (12/ 221)

الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم –عليه السلام–، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وأخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" [1].

ج–بيان الأمارات العشر:

1–المسيح الدجال:

ورد في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: "إني لأنذركموه، وما من نبي قبلي إلا وقد أنذر قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، إنه أعور وإن الله ليس بأعور ... " [2].

وسمي الدجال مسيحاً لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: هو الذي لا يبقى على أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوى، وقيل لأنه يمسح الأرض، أما عيسى بن مريم فسمي به؛ لأنه لا يمسح بيده ذا عاهة إلا بري –بإذن الله – وقيل غير ذلك) . وقد جاء في الحديث: "إن الدجال ممسوح العين".

وسمي دجالاً "لأنه يغطي الحق بباطله، ويقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه ... وقال ابن دريد: سمي الدجال، لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل لضربه نواحي الأرض، ... وقيل: بل قيل ذلك، لأنه يغطي الأرض" [3].

2–نزول عيسى عليه السلام:

من علامات يوم القيامة نزول عيسى –عليه السلام–حيث قال تعالى :" **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** "[الزخرف: 61، أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ويدل على ذلك القراءة الأخرى: " **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** "بفتح العين واللام "تفسير القرطبي."

---

[1] – صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (18/ 27).

[2] –صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (18/ 61)

[3]– صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال، (18/ 61– مع شرح النووي)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (4/ 278 –279)

ووردت صفته في الأحاديث الشريفة صفته عليه السلام منها ما رواه أبو هريرة τ، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– «ليلة أسري بي لقيت موسى ... فنعته إلى أن قال: ولقيت عيسى ... فنعته فقال: ربعه، أحمر، كأنما خرج من ديماس –يعني: الحَمَّامَ –"[1].

3– يأجوج ومأجوج:

يأجوج ومأجوج أمتان كثيرتا العدد، وهما من ذرية آدم عليه السلام ثبت في الصحيحين

"أن الله تعالى يقول: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج".

وقد أخبر الله تبارك وتعالى أن السد الذي أقامه ذو القرنين مانعهم من الخروج [**فما اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**] الكهف: ٩٧، وأخبر أن ذلك مستمر إلى آخر الزمان عندما يأتي وعد الله، ويأذن لهم بالخروج، وعند ذلك يُدك السد، ويخرجون على الناس [**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**] الكهف: ٩٨، وعند ذلك يخرجون أفواجاً [**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**] الكهف: ٩٩، وذلك قرب القيامة والنفخ في الصور [**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**] الكهف: ٩٩.

قد أخبر الحق في موضع آخر عن نقبهم السد وخروجهم: [**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا**] الأنبياء:96-97، وهذا يكون في آخر الزمان، وقوله جل وعلا: [**كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**] الأنبياء:96، أي يسرعون في الإفساد في الأرض، والحدب هو المرتفع في الأرض، وهذه صفتهم حال خروجهم.

وقد أخبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه فتح من ردم يأجوج ومأجوج في عصره فتحة صغيرة كالحلقة التي تكون من الإبهام والتي تليها، ففي صحيح البخاري عن زينب بنت جحش أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دخل عليها يوماً فزعاً، يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه"، وحلق بإصبعيه: الإبهام والتي تليها، قالت زينب: فقلت: يا رسول الله، أنهلك،

[1]–صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: [**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ**] (476/6، وصحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب الإسراء برسول الله ρ وفرض الصلوات (232/2)

وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث" [1].

4-الخسوفات الثلاثة:

معنى الخسف: يقال: خسف المكان يخسف خسوفا إذا ذهب في الأرض، وغاب فيها [2].

والخسوفات الثلاثة التي هي من أشراط الساعة جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى، حيث قال-عليه الصلاة والسلام-"إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ... فذكر منها-وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب".

5-الدخان:

من الآيات الكبرى التي تقع قبيل الساعة الدخان، قال تعالى: [**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**] الدخان: 10-11

الدخان يطلق في اللغة: على ما يتصاعد عند إيقاد الحطب، جاء في التحرير والتنوير :قال أبو عبيدة وابن قتيبة :الدخان في الآية هو: الغبار الذي يتصاعد من الأرض من جراء الجفاف، وأن الغبار يسميه العرب دخانا، وهو الغبار الذي تثيره الرياح من الأرض الشديدة الجفاف.

واختلف العلماء في ماهية الدخان وفي زمن وقوعه على قولان:

الأول: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي –صلى الله عليه مسلم-حين لم يستجيبوا له، فأصبحوا يرون السماء كهيئة الدخان.

الثاني: أن هذا الدخان من الآيات المنتظرة التي لم تجيء بعد، وسيقع قرب قيام الساعة، لقوله عليه الصلاة والسلام-"إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ... - فذكر منها- الدخان".

وجمع بعض العلماء بين القولين فذكروا على أنهما دخانان، ظهر أحداهما وبقي الأخر، وهو الذي سيقع

---

[1]-صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب ياجوج ومأجوج، (106/13)

[2]-الفيز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ص723.

[1]
في آخر الزمان .

6-طلوع الشمس من مغربها:

عن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعين، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"[2]

وقد أشار إليها القرآن الكريم في قولة تعالى: [**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**].

وعند حدوث هذه الأمارة ينغلق باب التوبة وعن الحكمة من ذلك، قال القرطبي: "قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت»[3].

ويقول الحافظ ابن حجر بعد ذكره لأحاديث طلوع الشمس من مغربها: "فهذه آثار يشد بعضها بعضا متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب؛ أُغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع، بل يمتد إلى يوم القيامة".

7-خروج الدابة:

ودابة الأرض تعبير قرآني عن حيوان لا يعلم تفصيلاته من حيث النوع والشكل والهيئة إلا الله عز وجل، يظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم ويصف كلا منهم بصفته من الإيمان، أو الكفر، فيسم الكافر بوسم الكفر،

---

[1]-شرح النووي لصحيح مسلم (27/18)

[2]-صحيح البخاري، كتاب الرقاق (352/11)، وصحيح مسلم، باب بيان الزمن الذي لا يقبل الله فيه الإيمان (195/2)

[3]-القرطبي، التذكرة بأحوال الموت والآخرة، مصدر سابق، ص706.

ويطبع المؤمن بطابع الإيمان. وحينئذ لا تنفع نفسا إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل.

يقول الله تعالى ذكره: **[وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ]** النمل:82

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض"[1].

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن النص القرآني والأحاديث الصحيحة تفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة وأنه إذا انتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة وحق القول على الباقين فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك وإنما يقضى عليهم بما هم عليه عندئذ يُخرج الله لهم دابة تكلمهم والدواب لا تتكلم أو لا يفهم الناس عنها ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود"، قال: "ومما يلاحظ أن سورة النمل التي وردت فيها هذه الآية فيها مشاهد حوار وأحاديث بين طائفة من الحشرات والطير والجن وسليمان عليه السلام فجاء ذكر الدابة التي تكلم الناس متناسقاً مع جو السورة محققاً لروعة التصوير في القرآن وتوحيد الجزئيات التي يتكون منها المشهد العام".[2]

8 – النار التي تحشر الناس:

وهي أخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة. وقد جاءت الروايات بأن خروج هذه النار يكون من اليمن، من قعر عدن، جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة الكبرى قوله–صلى الله عليه وسلم–"وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم"

وعند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر، والذين يحشرون على ثلاث طرائق، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتو، وتصبح معهم حيث أصبحوا،

[1]–صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان(195/2)

[2]–سيد قطب، في ظلال القرآن، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1972م، ص2667.

وتمسي معهم حيث أمسوا"[1]

ويحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان وهي أرض المحشر، كما جاءت بذلك الأحاديث، منها ما روي عن ابن عمر –رضي الله عنهما– في ذكر خروج النار، وفيه: قال: يا رسول الله! فماذا تأمرنا؟ قال: "عليكم بالشام"[2]

وهذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة، قال العلماء: "وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة وقبيل النفخ في الصور بدليل قوله –صلى الله عليه وسلم– «تحشر بقيتهم النار، تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسي"[3]

الحقائق التي يشتملها الإيمان باليوم الآخر

أولا: البعث والنشر والحشر:

أول ما بدأ القرآن الكريم في الحديث عن اليوم الآخر استهله بالحديث عن الموت والبعث، واستهل الحديث بالعبث كمقدمة لإثبات الحساب،

–والبعث: هو إعادة الإنسان روحاً وجسداً معاَ، كما كان في الدينا، فتجمع عين أجزاء الإنسان التي عاش فيها في الدنيا، ونقله الجرجاني أنه رأي العلماء المحققين[4]، لقوله عز وجل: **[وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ]**سورة الروم: 27

وقوله عز وجل: **[مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ]** سورة لقمان: 28.

لقد جاءت هذه الآية وغيرها لإثبات صحة وقوع البعث، لأن المنكرين استبعدوا وقوع البعث يعد الموت وصيرورتهم تراباً وعظامًا، فالحقيقة البديهية التي لا تحتاج إلى جدل طويل هو أن الله خالق الكون من غير مثال

---

[1] –صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر(377/11)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيميها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القامة (194/17-195)

[2] –صحيح سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز(243/2)

[3] –شح النووي لصحيح مسلم، (194/17-195)

[4] _البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، مرجع سابق، ص 369.

سابق، فخلق مادته وشكله وبديهي فإن الذي خلق الحياة أولا فإن الإعادة أهون عليه.

-الحشر:

هو الجمع، ويكون بعد بعث الخلائق وإخراجهم من قبورهم، قال تعالى: **[يوم نحشر]**مريم: 85-86 والحشر هو سوقهم جميعا إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارا لفصل القضاء بينهم، فبعد بعث الناس يأمر الله ملائكته، فتسوقهم إلى الموقف وحالهم كما خلقوا أول مرة، فقد صح عن عائشة –رضي الله عنها-أنها قالت: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم- يقول: " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قلت: يا رسول الله ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال عليه الصلاة والسلام: يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"[1]

ثانيا: الحساب

والمراد بالحساب هو توقيف الله تعالى العباد، قبل الانصراف من المحشر، على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم، التي عملوها في الدنيا، خيراً كانت أو شراً، وذلك بعد أخذهم صحائفهم فيعرفون على أعمالهم، وما لهم وما عليهم، قال تعالى: **[ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** الأنعام: 108

وقال تعالى: [فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا] الانشقاق: 7- 12

والحكمة من هذا الحساب أن يظهر الله فضائل المتقين ومناقبهم، وفضائح العصاة ومثالبهم، فبه يتميز الناس فيسعد من يسعد، ويشقى من يشقى، حينما يفصل الله بين خلقه في أكمل صور العدل وأجلها.

وقد دلّ القرآن الكريم أن هذا الحساب هو أهم وأعظم ما يراه الإنسان من أحداث يوم القيامة، حتى أنه سبحانه وتعالى أطلق على يوم القيامة اسم يوم الحساب، فقال في محكم تنزيله: **[هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ]** ص: 53

وقال الله تعالى: **[يُدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ]** ص:

[1]-صحيح مسلم بشرح النووي، ج17، ص192-193.

.26

وقال جل وعلا: **[وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ] غافر: .27**

أما عن طول الحساب على الإنسان وقصره، وصعوبته ويسره، فهو يختلف باختلاف الناس وتفاوت درجاتهم. فمنهم من لا يستغرق الحساب بالنسبة إليه أكثر من فواق ناقة-أي حلبها-كما قال النبي –عليه الصلاة والسلام-، ومنهم من يتطاول عليه أمد ذلك ويشتد عليه الكرب، ويتفاوت هؤلاء أيضا في ذلك حسب أحوالهم التي كانوا قد أدبروا عنها في الدنيا.

والإيمان بالحساب يستلزم الإيمان بالكتب، وهي صحائف بأسماء أصحابها سجّل فيها كل ما قام به الإنسان في حياته، ويختلف الناس في أخذ هذه الكتب، منهم من يأخذها باليمين، ومنهم من يأخذها بالشمال، قال تعالى: **[فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ]** سورة الحاقة: 19-26.

أما العلم بكيفية هذه الصحائف ونوعها وكيفية الكتابة المسجلة عليها فهو من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد" وكل ما أعلمنا الله إياه بإخباره القطعي هو أن من أوتي كتابه بيمينه كان من السعداء وكل من أوتي كتابه بشماله كان من أهل الشقوة والضلال".[1]

ثالثا: الميزان والوزن

ولإقامة العدل في الحكم عند الحساب يوم القيامة موازين في غاية العدل والضبط، لا تظلم مثقال ذرة. قال تعالى: **[وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]** الأعراف: 8

: **[فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103)]** المؤمنون: 102-103 "

وقال النسفي في تفسيره لقوله تعالى: **[جَزَاءً وِفَاقًا]** النبأ: 26. "أي موافقا لأعمالهم"، وأول أعمال

---

[1]-محمد رمضان البوطي، مرجع سابق، ص349.

الحساب على عمل الدنيا في الآخرة، نصب الميزان لوزن أعمال الخلق، واعتقادنا بالميزان حق وهو من السمعيات واجب التصديق به"[1] لقوله عز وجل: **[وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ]** الأنبياء: 47

وقال ابن عاشور: "وقد اختلف علماء السلف في المراد من الموازين هنا: أهو حقيقة أم مجاز؟، فذهب الجمهور إلى أنه حقيقة، وأن الله يجعل ف يوم الحشر موازين لوزن أعمال العباد تشبه الميزان المتعارف عليها... واتفق الجميع على أنه مناسب لعظمة ذلك لا يشبه ميزان الدنيا، ولكنه على مثاله تقريبا، وقال: إنما يرجع البر عن الوزن تعريف الله العباد بمقادير أعمالهم"[(2)].

والحكمة والعدل يقتضيان بالحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، كما يقتضي بأن ينال المحسن جزاء إحسانه، والمسيء ينال جزاء إساءته أما الحكمة من وضع الميزان في المعاد للعباد فهي "معرفة بيان مقادير أعمالهم، ليبين لهم الثواب والعقاب بحسب اختلاف أعمالهم، فالحاجة إلى الميزان والحكمة من الوزن والمحاسبة كما جاء في عبارة حجة الإسلام في العقائد: أن يشاهد العبد مقدار أعماله ويعلم أنه مجزي بعمله بالعدل أو متجاوز عنه باللطف"[(3)].

أما وسائل الإثبات لإدانة المكلف فهي:

أ-شهادة الملائكة على العباد، لقوله عز وجل: **[وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ]** الإنفطار: 10-11-12

ب-شهادة النبي محمد ρ والخلق تحقيقا على أقوامهم، لقوله عز وجل: **[فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا]** سورة النساء، آية 41.

ج-شهادة الأعضاء على أهلها:

لقوله عز وجل: **[الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ]** ياسين: 65

[(1)]_الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2004م، ص 118.
ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مصدر سابق، ص 208-213.
[(2)]_ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج17، ص 82-83.
[(3)]_الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، مصدر سابق، ص 119.

-وتشهد الأرض على الخلق بما عملوا على ظهرها، لقوله عز وجل: [**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**] الزلزلة: 4

رابعا: الصراط

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الصراط، وهو عبارة عن جسر ممدود على النار يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، على حسب أعمالهم، كل من كان أسرع في الدنيا لقبول الحق والعمل به كان على الصراط أسرع عبوراً، وكلما كان الإنسان أبطأ لقبول الحق والعمل به كان على الصراط أبطأ، فيمر أهل الجنة على هذا الصراط فيعبرون، أما الكفار فلا يمرون عليه، لأنه يصار بهم إلى النار -والعياذ بالله-، فيأتونها ورداً عطاشاً. وقد أشار القرآن الكريم إلى الصراط في قوله تعالى: "**ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**" مريم: 72

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: دحض مزلة[1] فيه خطاطيف وكلاليب وحسك[2] تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح، وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم"[3]

خامسا: الشفاعة والحوض

المقصود بالشفاعة في يوم القيامة هي السؤال في التخليص من موقف القيامة وأهواله، وقد تحدث عنها القرآن الكريم في مواضع عدة فقال تعالى: «يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا»، وفي هذه الآيات دلالة على ثبوت الشفاعة بالقرآن الكريم.

الشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعاً مثل أن تجعل الواحد اثنين، والثلاثة أربعة، وهكذا هذا من حيث اللغة. أما في الاصطلاح: فهي "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"، مبينا أن النبي –صلى الله عليه وسلم- له في القيامة ثلاث شفاعات؛ أما الشفاعة الأولى فيشفع في

---

[1]-الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.شرح النووي لصحيح مسلم، ج3، ص29.

[2]-شوك صلب من حديد. شرح النووي لصحيح مسلم، ج3، ص29

[3]-صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب آخر أهل الجنة دخولا، ج3، ص25-34.

أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء عن الشفاعة حتى تنتهي إليه، وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له، وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

وأشار إلى أن الشفاعة في أهل الكبائر وهم الذين استحقوا دخول النار، فيشفع لهم؛ فلا يدخلونها، أو يخرجون منها إن كانوا قد دخلوها، ليست خاصة بالنبي –صلى الله عليه وسلم- بل يشاركه فيها الأنبياء والشهداء والمؤمنون والصالحون، موضحا أن العقيدة بدوائرها الثلاث بدائرة السمعيات فيها آيات وأحاديث تبين أن النبي-عليه الصلاة والسلام- سيشفع في العصاة والمذنبين يوم القيامة، وهي نوعان:

أحدهما: خاص –بالنبي –صلى الله عليه وسلم-.

والثاني: عام له ولسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أما الشفاعة الخاصة بالنبي –صلى الله عليه وسلم-:

أ-الشفاعة العظمى:

هي التي تكون في الحشر يوم القيامة، حيث يشتد البلاء على الناس، ويشق عليهم الانتظار، لأنهم يبقون خمسين ألف سنة، والشمس من فوق رؤوسهم، والعرق قد يلجم بعضهم فيجدون هماً وغماً وكرباً، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله عز وجل فينجيهم من ذلك، ويذهبون إلى الأنبياء يستشفعون بهم عند الله لكي يصرفهم عن هذا الموقف الصعب، وكل نبي من الأنبياء يعتذر ويتراجع حياء وخجلا من الله، ثم يذهبون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم-؛ فيشفع لهم، ويقبل الله شفاعته في الخلق، فينزل الله تعالى للقضاء. بين عباده ويريحهم من هذا الموقف[1]

وهي من المقام المحمود الذي قال الله فيه: **[عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا]** الإسراء:79

وهذه الشفاعة ليست خاصة بأمة النبي –صلى الله عليه وسلم- وحدها، وإنما هي شفاعة عامة لأهل

[1]-شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الشفاعة، ج3، 53-58 .

الموقف جميعا، لا فرق بين مؤمنهم وكافرهم؛ فالكل مستفيد من هذه الشفاعة الكبرى أو العظمى.

–من الشفاعة الخاصة بالرسول–عليه الصلاة والسلام– أن يشفع لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فأهل الجنة إذا عبروا الصراط ووصلوا إلى باب الجنة وجدوه مغلقاً، فيشفع النبي ρ إلى الله بأن يفتح لهم باب الجنة، وقد أشار الله إلى هذه الشفاعة فقال تعالى: [**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**] الزمر:73، ولم يقل: حتى إذا جاءوها فتحت، كما قال في النار: [**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**] الزمر: 71، أما في أهل الجنة فقال: [**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**] ؛ لأنها لا تفتح إلا بعد الشفاعة.

–وهناك شفاعة ثالثة خاصة به–عليه الصلاة والسلام–، وبأبي طالب عمه،، وهو مات على الكفر وصار في غمرات من نار، فشفع له النبي أن يكون في ضحضاح من النار؛ بسبب نصره إياه؛ وحمايته له من قريش، فشفع له النبي أن يخفف عنه العذاب، وهذه شفاعة خاصة بأبي طالب مستثناة من قول الله تعالى: [**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**] المدثر:48.

وأبو طالب مخلد في النار مع الكفار، لكنه في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه، عن أبي سعيد الخذري –رضي الله عنه–: "أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ"[1]

ب–الشفاعة العامة:

أما الذي تكون فيه الشفاعة عامة، له ولسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهي أنواع:

أولاً: الشفاعة في أهل النار من المؤمنين أن يخرجوا من النار.

ثانياً: الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخل النار.

ثالثاً: الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة.

رابعاً: الشفاعة فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة.

خامساً: الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب .

[1]–صحيح البخاري، رقم: 3885.

ولابد للشفاعة من شروط ثلاثة، أولها: رضا الله عن الشافع، ثم رضاه عن المشفوع له، ثم إذنه، قال تعالى: [**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى]** النجم: 26، وقال تعالى: [**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى]** الأنبياء:28 .

سادسا: الحوض

الحوض لغة: الجمع، ويطلق على مجتمع الماء.

وشرعا: هو حوض النَّبي –صلى الله عليه وسلم–، وهو مجمع ماء عظيم يرده المؤمنون في عرصات القيامة

يجب أن نؤمن بما أخبر به المصطفى –عليه الصلاة والسلام– عن الحوض الذي تفضل به عليه وعلى أمته، فإن الأحاديث الواردة في ذلك تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابيا[1]، ويكون أول من يرده نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– ثم ترده بعده أمته ويطرد عنه الكفار وطائفة من العصاة وأهل الكبائر، وذلك بعد الانتهاء من الموقف بما فيه من أهوال وعرض وحساب وقراءة الصحف، وغيرها.

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "أنا فرطكم[2] على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم، فيقول –صلى الله عليه وسلم– أنهم أمتي: فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي.[3]

وعن عقبة بن عامر –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف أن تتنافسوا فيها"[4]

وأخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "إني على

---

[1]–شرح النووي على صحيح مسلم، ج15، ص53.، وشرح البيجوري على الجوهرة، ص223.

[2]–بمعنى أنا متقدمكم وسابقكم إلى الحوض.

[3]–شرح النووي على صحيح مسلم، ج15، ص53–54.

[4]–صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، وصحيح مسلم، بشرح النووي، ج15، ص57.

الحوض حتى انظر من يرد منكم، وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: "أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم"[1]

صفة الحوض:

ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– أوصافا متعددة لحوضه، ترغيبا للأمة في بذل الأسباب الموجبة لوروده والشرب منه، فذكر من أوصافه:" أنه حوض واسع طوله شهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم السماء في كثرتها وحسنها، وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، ويستمد الحوض ماءه من الكوثر، وهو نهر أعطيه النبي –عليه الصلاة والسلام – في الجنة يصب منه ميزابان على الحوض فيبقى الحوض دائما مملوءاً، ويرده المؤمنون من أمة الرسول ، ويشربون منه، ويكون هذا الحوض في عرصات القيامة عند شدة الحر وتعب الناس وهمهم وغمهم، فيشربون من هذا الحوض الذي لا يظمأون بعد الشرب منه أبداً. عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله –عليه الصلاة والسلام–: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الْوَرِقِ – أي الفضة–، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منها فلا يظمأ أبداً"[2] .

سابعا: الجنة والنار

يؤمن المسلم بوجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان من مخلوقات الله وهما آخر المراحل حيث يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار.

وهنا نصل نهاية الرحلة الطويلة التي بدأ طرف منها على الأرض في الحياة الدنيا، واليوم نصل إلى نهايتها بعد البعث والحشر والعرض والسؤال، قال تعالى: [**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**] الأعراف:29-30.

أما الذين استقاموا في حياتهم الدنيا على الطريق، فآمنوا بالله، والتزموا بأوامره وأيقنوا بيوم لقائه، فتجنبوا سخطه وسعوا إلى رضاه، واحتملوا ما احتملوا من مشقة، وصبروا على ما لاقوا من الأذى والنصب في الطريق، فأولئك قد استحقوا رضوان الله وجنته، [**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**]

[1]–صحيح مسلم بشرح النووي، ج15، ص55.

[2]–صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج11، ص334

الدخان: 56

وأما الذين كفروا وكذبوا، وأصروا على غيهم، وخالفوا أمر ربهم ورسله واستمتعوا في الحياة الدنيا بغير حق فطغوا بها وتجبروا، فقد استحقوا أن يصلوا إلى الجحيم [**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**] آل عمران: 131، والإعداد بمعنى التهيئة، وفي الجنة قال الله تعالى: [**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**] آل عمران: 133، والإعداد أيضا بمعنى التهيئة.

أولا: تعريف الجنة:

أ-الجنة في اللغة: هي البستان والحديقة ذات الشجر والنخل، مشتقة من جنن التي هي بمعنى الستر والتغطية، ومنه يقال جنه الليل إذا ستره، وسميت الجن بذلك لاستتارهم واختفائهم عن الأنظار، وسمي الجنين بذلك لاستتاره ببطن أمه، فسميت به الحديقة ذات الأشجار لاستتارها بها.[1]

وقال الراغب في المفردات: "جن أصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جنه الليل وأَجَنَّهُ وجَنَّ عليه، فَجَنَّهُ: ستره، وأَجَنَّه جعل له ما يجنّه، كقولك: قبرته وأقبرته، وسقيته وأسقيته، وجَنَّ عليه كذا: ستر.

والجنة: كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال عزّ وجل:" **لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ**" سورة سبأ: 15، "**وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ**" سبأ: 16، "**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ**" الكهف: 39، قيل: وقد تسمى الأشجار.

وسميت الجنّة إما تشبيها بالجنة في الأرض-وإن كان بينهما بون-، وإما لستره نعمها عنا المشار إليها بقوله تعالى: [**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**] ".

-والجنة في الاصطلاح: "هو الاسم العام المتداول لتلك الدار (التي أعدها الله لمن أطاعه)، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذة، والبهجة والسرور، وقرة العين".[2]

ب-أسماء الجنة:

أما أسماء الجنة، فيقول ابن القيم: ""ولها عدة أسماء، باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات،

[1]-محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص48، ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص99.

[2]-عبد الرحمان سعيد القحطاني، الجنة والنار، تحقيق: سعد بن علي بن وهف القحطاني، كتاب إلكتروني، ص94.
https://books-library.net/files/books-library.online_noo2ad72b19583648ba18e2c5-18627.pdf

فهي مترادفة من هذا الوجه، (وتختلف باعتبار الصفات، فهي متباينة من هذا الوجه)، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه، وأسماء رسله، وأسماء اليوم الآخر، وأسماء الجنة والنار"، ومن أسماء الجنة والنار:

1–دار السلام: وقد جاء ذلك في قوله تعالى: [**لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**] الأنعام: 127 **[لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِم]**يونس: 25. وقوله تعالى: **[وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ]**.

2–جنة المأوى:

كما قال تعالى: **[وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى]** النجم: 15، وقال تعالى: **[أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]**، وقال تعالى: **[وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى]**، النازعات: 40-41

3–دار المقامة:

قال تعالى عن أهل الجنة: **[وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ]** فاطر:35.

4–الحسنى:

كما قال تعالى: **[لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ]** يونس: 26، وقال تعالى: **[لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى]**، وقال تعالى: **[وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى]**، وقال تعالى: **[وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى]**.

5–جنة النعيم:

قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ] يونس: 9**، وقال تعالى: **[فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ]**، وقال تعالى: **[وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ]**، وقال تعالى: **[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ]** لقمان: 8، وقال تعالى: **[إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ]**، وقال تعالى: **[إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ]**، وقال تعالى: **[وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ]**، وقال تعالى: **[أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ]**، وقال تعالى: **[فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ]** .

6–جنة الخلد: وقال تعالى **[قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ]** .

7–دار الآخرة أو الدار الآخرة أو الآخرة: قال تعالى: **[قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]**.

وقال تعالى: [وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ] .

8–دار الحيوان:

قال تعالى: **[وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ]**العنكبوت، 64

قال ابن القيم: "دار الحيوان، قال تعالى: **[وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ]** والمراد الجنة عند أهل التفسير، قالوا: وأن الآخرة: يعني الجنة "لَهِيَ الْحَيَوَانُ" لهي دار الحياة التي لا موت فيها، فقال الكلبي: هي حياة لا موت فيها، قال وقال الزجاج: هي دار الحياة الدائمة، وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة ....".

تعريف النار:

النار لغة: تقال للهب الذي يبدو للحاسة، وللحرارة المجردة، وللحرارة المحرقة، ولنار جهنم المذكورة في قوله تعالى: **[النَّارُ وَعَدَهَا الله الَّذِينَ كَفَرُوا]**، جمعها: أنور ونيران، وأنيار"

النار اصطلاحا: هي التي أعدها الله سبحانه لمن عصاه، قال تعالى: **[وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]** البقرة: 39.**وقال تعالى: [إِنَّ الله لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا]** الأحزاب: 64

ومن أسماء النار نعوذ بالله منها:

- **[وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ]** الحجر:43. **جهنم:** قال الله تعالى:
- **الجحيم:** قال الله تعالى: **[وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ]** المائدة:86.
- **السعير:** قال الله تعالى ذكره: **[وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ]** لملك:10 .
- **سقر:** قال الله عز وجل: **[يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ]** لقمر:48 .
- **[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ]** الهمزة:5–6. **الحطمة:** قال الله جل وعلا:
- **الهاوية:** قال سبحانه وتعالى: **[وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ]**

القارعة:8-11.

- **لظى:** قال الله تعالى: **[كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى]** لمعارج:15-17.

ثانيا: وصف الجنة والنار

الجنة والنار، وهما العاقبتان اللتان تنتظران خلق الله من الإنس والجن، فحياة كل منهما لابد منتهية -في آخر الأمر-إما إلى الجنة، وإما إلى النار، وفي الجنة والنار تبدأ حياة النعيم الأبدي أو رحلة الشقاء الأبدي

وقد استفاضت آيات القرآن الكريم في وصف الجنة ونعيمها، ووصف جهنم وعذابها، حيث يقول الحق سبحانه في وصف الجنة: **[وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ]** التوبة: 72

[يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ]الزخرف: 71"

[فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ] الغاشية: 12-13-14-15

ويصفها سبحانه: "وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة"، **[وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ]**"الواقعة: 30-34

وعن أبي هريرةτ عن النبي ρ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: "أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ" ثُمَّ قَرَأَ **[فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** السجدة: 17، رواه البخاري

وورد في وصف النار: **[وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ]** الغاشية: 2-7.

والجنة والنار مخلوقتان بالفعل وموجودتان في مكان ما من هذا الكون الفسيح، لأن الآيات والأحاديث كلها تشير إلى أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وذلك وفقا لما جاء في القرآن الكريم: قال الله تعالى:

[وَسَارِعُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ] آل عمران:

[سَابِقُواْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ] الحديد: 21.

[أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ] التوبة: 89.

المحاضرة الحادية عشرة:

الركن السادس: الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقدر: خيره وشره، وحلوه ومره، هو إيمانٌ بأصل من أصول الدين لا يصحّ إيمان العبد ما لم يعتقد به اعتقاداً جازماً.

1-تعريف القضاء والقدر:

-القضاء لغة: الفصل والحكم، وأصله القطع والفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.

قال ابن فارس: القاف، والضاد، والحرف المعتل؛ أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته قال تعالى: **[فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ]** فصلت: 12.أي أحكم خلقهن[1]

ويأتي القضاء بمعان منها:

أ-يأتي بمعنى الأمر، ومنه قوله تعالى: **[وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ]** الإسراء: 23. أي: أمر

ب-الأداء والإنهاء، ومنها قوله تعالى: **[وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ]** الحجر: 66

-القدر لغة:

-القدر لغة: بفتح الدال وسكونها القضاء والحكم، وهو ما يقدره الله عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور.

قال الله عز وجل: **[أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** وَمَا] القدر: 1 يعني الحكم[2] .

قال ابن فارس: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. وقدرت الشيء

---

[1]-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج5، ص62

[2]-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص3545.

أقدره وأقدره –بسكون القاف وكسر الدال وضمها–من التقدير[1]

ويأتي القدر بعدة معان منها:

أ–التقدير، ومنه قوله –صلى الله عليه وسلم–:"فإن غم عليكم فاقدروا له قدره"

ب–التضييق، ومنه قوله تعالى: **[وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ]** الفجر: 16

–تعريف القضاء والقدر شرعاً:

اختلف العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئا واحدا، ومنهم من عرف القضاء تعريفا مغايرا للقدر، فقال: "القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل .

والقضاء: إيجاد الله تعالى الأشياء حسب علمه وإيرادته[2]

تعريف أخر: "هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها"[3]

2–الفرق بين القضاء والقدر

ذهب بعض العلماء إلى أن القضاء والقدر مترادفان، وهذا بالاستناد إلى بعض أئمة اللغة الذين فسروا القدر بالقضاء، فقد جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي، القدر: القضاء والحكم.

وذهب آخرون من العلماء إلى التفريق بينهما .فذهب بعضهم إلى أن القضاء سابق على القدر. فالقضاء هو ما علمه الله وحكم به في الأزل، والقدر هو وجود المخلوقات موافقة لهذا العلم والحكم. قال الحافظ ابن حجر " قال العلماء : القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله ".[4]

---

[1]–ابن فارس، مصدر سابق، ج5، ص63

[2]–محمد نعيم ياسين، مرجع سابق، ص72.

[3]–عبد الرحمان المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2، دار الوطن، الرياض، 1418هـ، ص39.

[4]–الحافظ بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج11، 477.

وقال في موضع "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل" [1].

وقال الجرجاني "القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود، واحدا بعد واحد، مطابقا للقضاء. والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال. والفرق بين القدر والقضاء: هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها" [2]

وقيل: "إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا؛ على حد قول العلماء: هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا.

فإذا قيل: هذا قدر الله؛ فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا؛ فلكل واحد منهما معنى.

– فالتقدير: هو ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه.

– وأما القضاء؛ فهو ما قضى به الله *سبحانه وتعالى* في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقًا".

3–الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

وردت أدلة مجملة في القرآن الكريم تدل على تقدير الله للأشياء،كقوله تعالى: **[إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]** القمر: 49، وقوله تعالى: **[وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا]** الفرقان:1–2، وقوله تعالى: **[سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا]**الأحزاب: 38، وقوله تعالى: **[فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ]** المرسلات: 21–23

وقد ورد الحديث على الإيمان بالقدر في السنة، في حديث عمر بن الخطاب τ في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ρ عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خير وشره. قال: –يعني جبريل–صدقت. وعن جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ρ"لا يؤمن عبد حتى

[1]–المصدر نفسه.

[2] –الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص174.

يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"[1]

4-ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

-الإيمان بالقدر يملأ القلب رضاً بالله عز وجل وبدينه وبرسوله، ورضًا عن الله عز وجل في قضائه وابتلائه، فيتذوق حلاوة الإيمان ولا يرضى به بدلاً، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- : "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً" وقال: ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار".

-والإيمان بالقدر يبعث في القلوب الشجاعة على مواجهة الشدائد، ويقوي فيها العزائم فتثبت في ساحات الجهاد ولا تخاف الموت، لأنها توقن أن الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر لحظة واحدة. قال تعالى **[وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ]** الأعراف: 34

- .ومن آثار الإيمان بالقدر أن يعرف الإنسان قدْر نفسه، فلا يتكبر ولا يتعالى على الناس؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور، ومستقبل ما هو حادث، ومن ثمّ يقرُّ الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه تعالى دائمًا

-لا يندم ولا يتحسر على ما فاته من رزق في الدنيا ولا يفرح ولا يتفاخر بما أعطاه الله عز وجل، ولا يقول مقالة الكافر بأنعم الله عز وجل: **[إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي]** القصص: من الآية 78، وإنما يقول: **[ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ]** المائدة: من الآية 54، قال تعالى: **[مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ]** الحديد: 22 وهو في هذا كله معتمد على الله تعالى، يأخذ بالأسباب ويتعلق قلبه بمسبب الأسباب سبحانه وتعالى.

[1]-رواه الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، ج6، ص356.

المحاضرة الثانية عشرة:

الإيمان بين الفطرية والاكتساب

سؤال شغل العديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء بمختلف تخصصاتهم – وعلى رأسهم الماديين ودعاة التطور المزعوم للإنسان – ألا وهو: ما مدى علاقة (التدين) بالطبيعة الإنسانية؟ وهل الإيمان هو شيء مكتسب بعد الولادة؟ أم يولد معه كفطرة لازمة له؟

والإجابة على هذا السؤال يقودنا إلى التفريق بين نوعين من الإيمان لدى الإنسان كان قد أطلق على الأول اسم الإيمان الفطري، بينما اصطلح على الثاني اسم الإيمان الكسبي

أولا: الإيمان الفطري:

يشير إلى تلك القوة الكامنة في النفس، التي تدفع الإنسان للإيمان بوجود الله وهذا النزوع الفطري نحو الإيمان يعيه ويدركه كل إنسان إدراكاً وجدانياً ولا يتوقف على إدراك العقل لذلك، ذلك أنّ للفطرة الإنسانية مدركات أولية وجدانية صحيحة مغروزة في جميع البشر، يقول باسكال العالم الفرنسي(1623 - 1662): "للقلب دلائل للإيمان بالله ولا سبيل للعقل إلى تلك الدلائل"، وهو ما يعبر عنها با المبادئ والأفكار الأولية التي تعد الفطرة أوضح أجزائها "فإنها من العلوم الضرورية اللازمة للخلق التي لم يخل منها بشر قط، بخلاف كثير من العلوم التي قد تكون ضرورية، ولكن قد يغفل عنها كثير من بني آدم، فإذا تصورت كانت علوما ضرورية".[1]

وهي الفطرة التي يولد الإنسان مزودا بها، والتي تؤدي به في حال صفائها وتوازنها إلى معرفة أن لهذا الكون خالق أوجده، وبمعنى أوضح "أن الله –سبحانه وتعالى–خلقها في النفس البشرية قبل مباشرتها أي معرفة

[1] –ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، مصدر سابق، ج8، ص489.

خارجية، ومع كونها تتضح بعد ذلك، ويكون هذا الوضوح سائقا للنفس البشرية نحو مقتضياتها، إلا أنها قد تتاثر بعوامل خارجية، فتغفل النفس عن شيء منها، أو يخفت وضوحها وهي مع ذلك مضمرة في النفس، تعود لوضوحها كلما انجلى غشاؤها بالتذكير أو بزوال العامل الحاجب ونحوه" [1]

والذي يشهد بفطرية الإيمان بالله أمران:

1-إن الدراسات التاريخية الحديثة كشفت أن الإيمان بفكرة الإله، صفة عامة عند البشر أجمع قديماً وحديثاً، رغم اختلاف الأمم والحضارات والدليل على ذلك أنه لم يعثر على أمة من الأمم لم يكن لديها اعتقاد بوجود الإله وميل نحو التدين، الأمر الذي لا يمكن تفسيره أو تبريره بالصدفة أو الجهل أو الخوف، وإنما التفسير المنطقي الوحيد له هو أنه استجابة لنداء الفطرة. يقول ول ديوارنت بعد حديث له عمن أسماهم بالملاحدة البدائيين: "على أن هذه حالات نادرة الوقوع ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعاً اعتقاداً سليماً"[2]

وقد أيد كثير من العلماء هذه الفكرة، منهم (**بلوتارخ**) الذي قال: " من الممكن أن نجد مدنا بلا أسوار أو ملوك أو ثروة أو آداب أو مسارح، ولكن لم يرَ الإنسان قط مدينة بلا معبد" وأستاذ الطبيعة الحيوية الدكتور (بول كلارنس أبرسولد) إذ عبَّر عن دليل الفطرة باتفاق الناس في الشعور المشترك وقال: "والإنسان على اختلاف أديانهم وأجناسهم وأوطانهم قد عرفوا منذ القدم وبصورة تكاد تكون عامةً مبلغ قصور الإنسان عن إدراك كنه هذا الكون المتسع، كما عجزوا عن إدراك سر الحياة وطبيعتها في هذا الوجود.. لو ذهبنا نحصي الأسباب والدوافع الداخلية التي تدعو ملايين الأذكياء من البشر إلى الإيمان بالله لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ولا عد.. والحق أن التفكير المستقيم والاستدلال السليم يفرضان على عقولنا فكرة وجود الله[3]."

2 . حالات الشدة والصدمات والكوارث والمخاوف التي تصيب الإنسان وتهز كيانه وتؤدي إلى انقطاع آماله بكل الأسباب المادية، هنا تستيقظ فطرته، ويأتيه النداء من أعماقه، من غير تفكير ولا روية لينادي صادقًا مخلصًا ربه، يقول المولى تعالى: **[وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ" وفي سورة**

---

[1] – عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي–دراسة نقدية في ضوء الإسلام– ط1، مكتبة المؤيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1412هـ–1992م، المملكة العربية السعودية، ص348.

[2]–ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران وآخرون، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج1، ص99.

[3]–محمد عبد الله دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، دار القلم، الكويت، ص82.

يونس يقول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ].

وفي سورة العنكبوت: **[فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ].**

وفي سورة لقمان: **[وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]**، وهكذا يبين الله تعالى في مواضع كثيرة زمن كتابه العزيز هذا الدليل الفطري الدال على معرفة الإنسان بربه وخالقه، معرفة غرسها الله تعالى في كل نفس حتى تهتدي العقول وتسكن النفوس.

وقد أكد المولى فطرية التدين بقوله تعالى: **[وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا] الأعراف:172،** قال العلماء فهذا هو الذي فطر عليه الإنسان في عهده مع كل نسمه قبل خلقها. وذلك ما أكده الرسول –صلى الله عليه وسلم– بقوله: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ثم أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

ثانيا: الإيمان الكسبي:

إن الشعور بوجود خالق قد نظم هذا العالم وتولى تدبير شؤونه، يختلف عن الممكنات في صفاتها، فليس بجسم ولا عرض ولا محدود، لا متحيز لا يستطاع إدراكه إلا بآثاره. إلى ذلك اهتدى الأعرابي بفطرته فقال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير .. وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج .. ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير!! هذا الأعرابي استدل بفطرته النقية على أن هذه الحوادث العظيمة تدل على خالق عظيم فالحوادث دليل على وجود المحدث لقوله تعالى: **[أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ] الطور: 35–36.**

فكل حادث لا بد له من محدث"[1]

ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده المولى تعالى؛

[1] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج&، ص163.

والأدلة التي يرشد إليها القرآن الكريم على وجود الله تعالى إنما تكون للمؤمن ليزداد معرفة بالله وعظمته وكمال قدرته، وتكون هادية ومرشدة لمن فسدت فطرته للعودة إلى الفطرة السوية التي ابتعد عنها وتنكر لها بفعل عوامل خارجية. قال ابن تيمية" :الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة". وقال" :الإقرار بالخالق وكماله يكون فطرياً في حق مَنْ سَلمَت فطرته، وإن كان مع ذلك قد تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها[1].."

ويستفاد هذا المعنى من قول النبي –صلى الله عليه وسلم– ": ما مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ علَى فِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ"[2] (أخرجه البخاري)

واستنادا إلى ما سبق يمكن القول بأن معرفة الله والإيمان به أمر مركوز في عمق الوجود الإنساني، فإذا تهيأت له الرعاية والاهتمام تظهر لدى الإنسان بالانتقال من القوة إلى الفعل.

[1] –ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، مصدر سابق، ج8، ص430.

[2] –صحيح البخاري، رقم(1385)، وصحيح مسلم، رقم(2658)

المحاضرة الثالثة عشرة:

التصور الإسلامي للوجود (الكون، الإنسان، صلة الكون والإنسان بالله عز وجل)

التصور الإسلامي للوجود هو التفسير الشامل للحقائق الكبرى في الوجود كحقيقة الألوهية وحقيقة الكون وحقيقة الإنسان والحياة، مستمد من الوحي بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أولا: التصور الإسلامي للكون

1- تعريف الكون:

أ-لغة: الكون: الكاف والواو النون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض، أو زمان راهن، يقولون كان الشيء يكون كونا إذا وقع وحضر.

.وكوّن الشيء: ركبه بالتأليف بين أجزائه، وكوّن الله الشيء: أخرجه من العدم إلى الوجود.

والكون: اسم لما يحدث دفعة كحدوث النور عقب الظلام مباشرة، وإن كان الحدث بالتدريج فهو الحركة

والكَوْن: واحد الأكْوان، و الكونان: الدنيا والآخرة[1].

ويستعمل مصطلح الكون في الفيزياء، وفي الفلك ليشير إلى كل شيء موجود، من أصغر الذرات إلى

[1]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م صدر سابق، ج5، ص 148،

-ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج9، ص946.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج2، ص812.

أكثر الأجرام الفلكية بعدًا[1]

ب–واصطلاحا: هو اللفظ المستخدم للدلالة" على كل ما حولنا، من النجوم نراها ليلا في السماء، والتي تتجمع في مجموعات تعرف بالمجرات، إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات، وما يوجد به من غازات وغبار كوني، بالإضافة إلى أي شيء يقدر له الوجود وراء حدود ما نراه"[2].

الكون هو كل ما أعده الله من المخلوقات سواء كانت مما نستطيع رؤيته والتعامل معه بالحواس، مثل النجوم والكواكب والأرض وما فيها من إنسان وحيوان وأشجار وأنهار وبحار. أم كانت من الغيبيات التي لا نراها ولا ندركها بالحواس وليس لنا من طريق لمعرفته غير الوحي مثل الملائكة والجن، والجنة والنار ا

قال تعالى: **[ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] فاطر: 1**

وقال تعالى: [وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ]الرحمان: 15

وقال تعالى: [مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ] الرعد: 35

وقال تعالى: [كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ] المعارج: 15-16-17

2–خصائص التصور الإسلامي للكون:

يمتاز التصور الإسلامي للكون بجملة من الخصائص نذكر منها:

1–الكون كله مخلوق محدث:

الكون بكل ما فيه من المخلوقات المشاهدة والمدركة بالحواس، والمغيبة التي لا تدرك، ما علمنا منها وما لم نعلم..كل ذلك وجد بعد أن لم يكن موجودا، وأحدث إحداثا بعد أن كان عدما، وخلق خلقا على غير مثال سابق.

قال تعالى: **[وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ بَدِيعُ**

[1]–مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، ص20.

[2]–مجموعة من المؤلفين، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص559.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ] البقرة: 116-117

وهذا الكون لم يوجد صدفة ولم يوجد نفسه بنفسه، بل وجد بفعل فاعل، وبعلة خارجة عن ذاته، وبإرادة خالق هو الله سلحانه وتعالى: **[ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ]** الزمر: 62-63، ومازال الكون في توسع مستمر لا يتوقف، ولكنه ليس توسعا آليا وذاتيا، بل بإرادة الخالق المدبر العليم الحكيم، و لحكمة قدّرها سبحانه قال الله تعالى: **[وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ]** الذاريات: 47 .

2-الكون آية الله الكبرى:

خلق الله الكون وأودع فيه آيات من عجائب قدرته وبديع صنعه، وأسرار حكمته، وتجليات عظمته، فهو آية في سعته وامتداده، وآية في دقة صنعه وتناسقه، وآية في ضبط حركته وتكامل مكوناته، كما هو آية في جماله وروعة منظره، فكل شيء فيه مخلوق بمقدار، وكل شيء مخلوق بحكمة، ومخلوق لغاية، وكل حركة فيه محسوبة بحساب دقيق، وموزونة بميزان لا يخطئ، وموجهة بقدر من الله خاص لحكمة خاصة، وغاية معلومة، قال الله تعالى: **[ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا]** الفرقان: 2، وقال الله تعالى: **[إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ]** القمر: 49.

فهذا الكون بما اشتمل عليه من آيات نتعرف من خلالها على جوانب من عظمة صفات الله تعالى، فتطمئن قلوبنا و يزداد إيماننا، و نخلص له عبادتنا، قال الله تعالى: **[إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ]** آل عمران: 190-191.

3-الكون خاضع لله:

إن هذا الكون بما فيه ومن فيه خاضع لله، طائع لخالقه، فهو عابد لربه لا يفتر، ساجد مسبح لا يسأم، منقاد لأمر الله في رضا وطواعية، قال الله تعالى: **[ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ]** فصلت: 11

وقال الله تعالى: **[أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ إِنَّ**

ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ] الحج: 18

و قال تعالى ذكره: **[تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا]** الاسراء: 44

4-الكون مسخر للإنسان:

جعل الله الكون مسخرا للإنسان خادما له، وأودع فيه كل مقومات حياته، وكل متطلبات رفاهيته، ففي الأرض قدر الله أقواتها بما يكفي سائر الأحياء بما في ذلك الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذه الشمس تمد الأرض بالنور و الحرارة بالقدر المطلوب للحياة بلا زيادة ونقصان، ودورة الأرض حول نفسها وحول الشمس ينشأ عنها تعاقب الليل و النهار، وينشأ عنها الفصول الأربعة و كل منها موافق للحياة وضروري لها، قال الله تعالى: **[ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ]** إبراهيم: 32-33-34.

وقال عز وجل: **[أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا]** نوح: 15-16-17-18-19-20

فالمؤمن يعتقد خيرية هذا الكون، ويرى في ظواهره صديقا وأنيسا له فيمضي مطمئنا في كشف سننه بروح من يتعرف إلى هذا الكون لا من يتصارع معه، وكلما كشف سنة من سننه جعلها للخير، واتجه بها إليها، لأن كشفها لم يكن نتيجة معركة مع عدو، وإنما جاء نتيجة تسخير من الله الذي يدعو إلى الخير والبر وينهى عن الشر والفجور.

5-مصير الكون:

كما أن الكون مخلوق محدث وليس بالأزلي، فهو كذلك ليس بالأبدي أي أن له نهاية ينتهي إليها ومصيرا مؤجلا يصير إليه، هو الزوال والفناء، قال تعالى: **[أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَاىِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ]** الروم: 8

وقال أيضا تعالى ذكره: [وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] القصص: 88

ومما سبق يجعل المسلم مدركا أن هذا الكون بم أودع الله فيه من عظيم إبداعه، ودقيق صنعه يدعو الإنسان إلى التفكر فيه والتعرف عليه، ويدفعه إلى أن يجهد عقله ويبذل جهده في اكتشاف أسراره وقوانينه لينتفع بالخيرات التي أودعها الله فيه، وسخرها لصالح حياته، وإعمار الأرض وفق منهج الله تعالى.

ومع هذا التفكر والتدبر والاعتبار يزداد المؤمن يقينا بالله ومعرفة بصفاته عز وجل، فيدرك عظمة الخالق، ويؤمن بما غاب عنه من مخلوقات في هذا الكون الفسيح بالصورة التي أخبرنا الله عنها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

كما يلهمه التفكر في هذا الكون إدراك الآثار السيئة للكفر، وارتكاب المعاصي، والانحراف عن منهج الله سبحانه، والتعرف على الآثار الإيجابية للإيمان فيلتزم شرع الله وطاعته ويقف عند حدوده. ثم هو بعد ذلك يستقر في شعوره أن الله وحده هو الحي الباقي، وأن ماعدا الله سبحانه مآله إلى الفناء، فلا يخاف من الموت، بل ينظر إليه على أنها منطقة عبور يتحتم عليه اجتيازها كغيره من المخلوقات في هذا الكون الفسيح الممتد زمانا ومكانا، قال تعالى: **[كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ]** الرحمان: 26-27

التصور الإسلامي للإنسان: تميز التصور الإسلامي للإنسان عن غيره من التصورات الدينية والفلسفية بجملة من الخصائص نجملها في الآتي:

1-الإنسان خلق لغاية:

وهي تحقيق العبودية أو العبادة وهي حق لله تعالى أوجبه على عباده مصداقا لقوله عز وجل: **[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] الذريات:56**

وهو حق استحقه المولى جلا وعلا بمقتضى ربوبيته وألوهيته وكمال صفاته، والعبادة شاملة لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كأداء الفرائض وصدق الحديث وأداء الأمانة وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحب رسول الله ρ وخشية الله والإخلاص له والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من

عذابه[1]. مما يجعل الإنسان المسلم في عبادة طوال حياته وفي جميع تصرفاته، قال تعالى: [**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ.**]

2- الإنسان مكلف بمهمة:

وهي القيام بهمة العمارة والبناء والإصلاح في الأرض بتوجيه من الله **تعالى** : **[هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] هود: 61**

ولحكمة أرادها المولى اقتضت أن توكل هذه المهمة للإنسان دون غيره من المخلوقات قال تعالى

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] البقرة: 30

وينطوي مفهوم الاستخلاف على معاني التكليف والمسؤولية والأمانة التي عهد بها الله للإنسان المشروطة بإقامة العدل ونشر الخير وتحقيق الانتفاع في هذه الأرض لجميع البشر، وبهذا يتميز التصور الإسلامي للإنسان عن غيره من التصورات الفلسفية التي سوغت للإنسان تبني النزاعات ضمن جدلية الصراع مع الآخر ومع الموجودات من حوله.

3-الإنسان مخلوق مكرم:

وذلك بسبب التكريم الذي خصه به الله دون غيره من عناصر الموجودات في هذا الكون، قال تعالى: **[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلً]**: الإسراء: 70

قال صاحب الميزان: «المراد بالتكريم تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختص به، و لا يوجد في غيره وبذلك يفترق عن التفضيل، فإن التكريم معنى نفسي، وهو جعله شريفا، ذا كرامة في نفسه والتفضيل معنى إضافي، وهو تخصيصه بزيادة العطاء بالنسبة إلى غيره مع اشتراكهما في أصل العطية، والإنسان يختص من بين الموجودات الكونية بالعقل ويزيد على غيره في جميع الصفات والأحوال التي توجد بينها والأعمال التي يأتي بها»[2].

[1]- ابن تيمية: العبودية، ط2، المؤسسة السعودية، القاهرة، 1398هـ، ص5.

[2] محمد حسين الطباطبائي، دليل لميزان في تفسير القرآن، ط1، انتشارات بيان، إيران، 1392هـ، ج 14، ص 156 .

وتتجلى مظاهر التكريم الإلهي للإنسان في عدة جوانب:

–خلق الإنسان في أحسن تقويم: أكد القرآن الكريم في العديد من الشواهد على التكريم بحسن الصورة وجمال الهيئة من ذلك قوله تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" التين: 4

وقوله تعالى: **[اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]** غافر: 64

وقوله جلا وعلا: **[وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ]**المؤمنون: 12-13.

إن تصوير الإنسان بهذا الشكل الجميل المتناسق والمعتدل لدليل على علو مكانته وعظيم قدره عند الله الذي تفضل عليه بكل هذه النعم دون غيره من الموجودات

–التكريم بالعقل:

العقل من أفضل الملكات التي أودعها الله في الطبيعة الإنسانية، فهو الأداة التي توجب على أن لهذا الكون خالق عظيم، إذ يستحيل عقلا أن يوجد الأثر ولا يوجد المؤثر، فالعقل يوجب على الإنسان معرفة الله والإيمان به،كما يمكنه من التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين ما ينفعه وما يضره، وبالعقل يكتسب المعارف والعلوم التي بها يتطور ويرتقي. و قد سئل ذات مرة عطاء بن رباح (114هـ): ما أفضل ما أعطي الإنسان ؟ قال: العقل عن الله عز وجل "[1].

وقال الإمام الغزالي:« العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه »[2].

لذلك اهتم القرآن الكريم بالعقل وحثه على التفكير والتدبر والاستدلال في العديد من الآيات التي تشير إلى وظائف العقل، قال تعالى: **[كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]** يونس: 24

[إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] الرعد: 3.

[1]–ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط 1، 1962، ص11 .

[2]–الغزالي، إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج1، ص 83.

[كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ] البقرة: 219.

[أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ] الأعراف: 185

[وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] النحل: 12.

و يحوز العقل على أكبر نسبة في مظاهر التكريم الإنساني كما يرى القرطبي « والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله، و يفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، فمثال الشرع الشمس، و مثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء، وقد جعل الله في بعض الحيوانات خصالا يفضل بها ابن آدم أيضا كجري الفرس وسمعه وأبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل».[1]

-التكريم بتسخير الكون:

التسخير في اللغة: هو العمل والخدمة مجانا[2].

يقال سخرته، وسخر:(يدل على احتقار واستذلال، من ذلك قولنا: سخر الله تعالى الشيء، و ذلك إذا ذلله لأمره وإرادته "، قال تعالى: **[وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]** الجاثية: 13[3].

وقال ابن منظور: سخرته، أي قهرته وذللته، قال تعالى: **[وسخر لكم الشمس والقمر]**إبراهيم: 33

أما في الاصطلاح: التسخير يراد به «جريان الموجودات وفق القانون الإلهي قهرا حتى ينتفع بها الإنسان».

وجاء في المفردات «التسخير هو سياقة إلى الغرض المختص قهرا»، قال تعالى: **[وسخر لكم الشمس والقمر دائبين]**

---

[1]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مصدر سابق)، ص 294.

[2]-الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، 1982، ص 269.

[3]- ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ،ج1،ص490.

وقال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: **[وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ]** الجاثية: 13، « يعني أن ذلك فعله وخلقه وإحسان منه وأنعام»[1].

ومن بين الخلائق الكونية الهائلة التي سخرها الله للإنسان لينتفع بها:

-تسخير الليل والنهار: قال تعالى: **[وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ]** النحل: 12، وقال تعالى: **[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا]** الإسراء: 12.

و قال تعالى: **[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا]** النبأ: 10-11

فالإنسان يستفيد من الليل والنهار في معرفة المواقيت وفي السعي لطلب الرزق، بحيث جعل النهار للعمل والكسب والليل للنوم والراحة.

-تسخير النجوم: قال تعالى: **[وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ]** النحل: 16، قال قتادة:« إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لتكون زينة للسماء، ومعالم للطريق ورجوما للشياطين، فمن قال غير ذلك فقد تكلف ما لا يعلم »[2].

فقد كانت النجوم بمثابة المصابيح التي يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر

تسخير الماء: قال تعالى: **[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]** الأنبياء: 30.

إذ أن استمرار الحياة على الأرض مرتبط بوجود الماء، فهو ضروري للإنسان والحيوان والنبات.

-تسخير الأنعام: قال تعالى: **[وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ]** النحل: 5-8.

فهذه الآيات تشير إلى المنافع العديدة التي يحصل عليها الإنسان من خلال تسخير الله للأنعام.

---

[1]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج16، ص60.

[2]- محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ-1992م، ج 5، ص 227 .

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

-كتب الحديث

1. ابن منظور، لسان العرب، ط د، دار المعارف، القاهرة.
2. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1972م.
3. جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط1، دار الحديث، القاهرة.
4. البخاري، صحيح البخاري، كتاب (الجهاد والسير).
5. محمد بن أحمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1411هـ-1991م.
6. محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الكتب العربية، بيروت، 1409هـ-1989م.
7. حسن البنا، العقائد، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية، 1404هـ-1984م.
8. عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، 1422هـ.
9. آمنة نصير، مباحث في علوم العقيدة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،1984.
10. محمد رمضان سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط3، دار الفكر، دمشق، 1394هـ.
11. محمد قطب، دراسات قرآنية، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ-1980م.

12. محمد رمضان سعيد البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، 1997م.
13. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
14. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1420هـ-2000م.
15. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دط، دار طيبة، الرياض، 1409هـ.
16. ابن القيم: الفوائد، دط، دار مصر للطباعة، القاهرة، دت.
17. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ط8، مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م.
18. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، 1999م.
19. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ط1، دار أضواء السلف، المدينة المنورة، 1423هـ-2003م.
20. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ-2005م.
21. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج1، ص370
22. محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط2، دار النفائس، عمان، الأردن، 1421هـ-2001م.
23. محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية للنشر، تونس.
24. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: لطفي عبد البديع، ط1، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1971م.
25. محمد عبد الله دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان)، دار القلم، الكويت.
26. شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، ط1، عالم الكتب، لبنان.
27. الشهرستاني، الملل والنحل، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ-1993م.
28. إمام الحرمين الجويني، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تحقيق الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 1412هـ.
29. محمد عبده، رسالة التوحيد، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ-1994م.
30. تاج العروس من جواهر القاموس: مرتضى الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الهداية.
31. حسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، ط5، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1403 هـ.
32. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
33. إبراهيم الباجوري، تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد: تحقيق دعلي جمعة، ط1، دار السلام للطباعة، القاهرة، 1422هـ.
34. أبو الحسين مسلم بن الحجاج، مجموعة من المحققين، دار الجيل، بيروت.
35. الجرجاني، التعريفات، ط1، مكتبة الحلبي، 1938م.
36. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، المطبعة الميمونية.
37. محمد السيد الجليند، الخير والشر في الفكر الإسلامي، ط2، دار التقدم، القاهرة، 1981م.
38. ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق: موسى سليمان الدويش، ط1، مكتبة العلوم والحكم، 1408هـ.
39. سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1407هـ-1987م.
40. محمد عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، دط، منشورات عويدات، بيروت، 1970م.
41. ابن القيم، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقهي، دط، دار الفكر، بيروت، دت.
42. الجرجاني، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ-1983م.

43. شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، مشروعية الاجتهاد في فروع العقيدة، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.
44. أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ط1، المكتبة المصرية، القاهرة، 1426هـ-2005م.
45. علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية-مدخل ودراسة-، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م.
46. أحمد صبحى، في علم الكلام، ط5، دار النهضة العربية، بيروت، 1505هـ-1985م.
47. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر: محمد عيد الهادي أبو ريدة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1368هـ-1948م.
48. ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ-2001م.
49. الشهرستاني، الملل والنحل، دار المشرق، بيروت، 1986م.
50. الفخر الرازي، اعتقادات المسلمين والمشركين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1356هـ-1938م.
51. ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ط2، دار الجيل، بيروت، 1416هـ-1996م.
52. الباقلاني، تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ-1987م.
53. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م.
54. ابن النديم، الفهرست، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ-1997م.
55. البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977م.
56. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
57. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ-1994م.
58. ابن هشام، سيرة النبي، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، 1412هـ-1995م.
59. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، دط، دار الفكر، بيروت، دت.
60. سعود بن عبد العزيز العريفي، الأدلة العقلية والنقلية على أصول الاعتقاد، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 1419هـ.
61. الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.

62. محمد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ط8، دار الفكر، دمشق، 1982م.
63. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، الدار الشامية، دمشق، 1412هـ.
64. سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط15، دار الشروق، 1423هـ-2002م، القاهرة.
65. ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ط9، المكتب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م
66. محمد نعيم ياسين، الإيمان، الطبعة 4، مكتبة الرسالة، عمان 1405، 1975م.
67. أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية-أسسها ومبادؤها -، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.
68. الفخر الرازين لوامع البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات، راجعه طه عبد الرؤوف، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1404هـ، 1984.
69. محمد عبد الرحمن المبارك فوري، تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
70. محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم ت (405هـ) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1411هـ، 1990م.
71. علي بن أبي بكر الهيثمي ت (807هـ) مجمع الزوائد، دار الريان، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، 1407هـ.
72. ابن القيم، أسماء الله الحسنى، تحقيق يوسف بدوي وأيمن الشواء ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1418هـ، 1197م.

73. الراغب الأصفهاني، الاعتقادات، تحقيق: شمران العجلي، ط1، مؤسسة الأشراف، بيروت، 1988م.
74. إبراهيم البيجوري، شرح جوهرة التوحيد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1903م.
75. الماوردي، أعلام النبوة، تحقيق: الشيخ خالد عبد الرحمان العك، ط4، دار النفائس، 1994م.
76. حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط4، دار الفكر، دمشق، 1430هـ-2009م.
77. القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، ط1، مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1425هـ.
78. السيوطي، البدور السافرة في أحوال الآخرة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ-1996م.
79. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1972م، ص2667.
80. الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2004م.
81. ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
82. محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ص48، ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص99.
83. [1]-عبد الرحمان سعيد القحطاني، الجنة والنار، تحقيق: سعد بن علي بن وهف القحطاني، كتاب إلكتروني-https://books-library.net/files/books-library.online_noo2ad72b19583648ba18e2c5-18627.pdf
84. عبد الرحمان المحمود، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ط2، دار الوطن، الرياض، 1418هـ.
85. عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، مصادر المعرفة في الفكر الديني الفلسفي-دراسة نقدية في ضوء الإسلام- ط1، مكتبة المؤيد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1412هـ-1992م، المملكة العربية السعودية.
86. ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران وآخرون، دار الجيل، بيروت، 1988م.
87. محمد عبد الله دراز، الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)، دار القلم، الكويت.
88. مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، ط2، مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع.
89. مجموعة من المؤلفين، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
90. ابن تيمية: العبودية، ط2، المؤسسة السعودية، القاهرة، 1398هـ.
91. محمد حسين الطباطبائي، دليل لميزان في تفسير القرآن، ط1، انتشارات بيان، إيران، 1392هـ..
92. ابن الجوزي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط1، 1962.
93. الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، 1982.
94. محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1412هـ-1992م.